www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المنار

المجلد الثالث والعشرون

الجزء السابع

إهداء من
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...
الجديد والطريف
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب
يهدي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب ٢/٢٦٩

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٣٠ ذي القعدة ١٣٤٠ ـ ٤ الاسد (ص٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من بيروت ﴾

(س٢١ — ٣١) من صاحب الامضاء

حضرة العالم العلامة والجهبذ الفهامة مولانا الاستاذ السيد محمد أفندي رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله

(١) ماحكم الله تعالى ورسوله في رجل يمضي وقتاً كل يوم في قهوة عمومية بها مسكرات ولعب ميسر ولعب بليارد وغير ذلك مع أنه لا يتعاطى شيئاً من ذلك كله وينكر ذلك بقلبه بل قصده تمضية وقت فهل يجوز له الجلوس أم لا ؟ (٢) وهل سماع الادوار الغنائية من الرجال وضرب النساء على البيانو والعود حرام أم لا ؟ — (٣) وهل الخمر نجسة وما الاحاديث الصحيحة الواردة في نجاستها ؟ (٤) وهل الاسبيرتو والبنزين نجسان أم لا — (٥) وهل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أم سنة أم مستحبة ؟ وهل ورد في ذلك أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا — (٦) وهل يجوز المسح على الخف المقطع وعلى

(١) هنا يجب التدقيق فيما جزم به الصحابي كيف نأخذه مع النقل عنهم بالمعنى وهل كل صحابي بلغه النهي عن تصديقهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجوارب (مايسمونها العامة بالشرابات) الصوف والقطن أم لا ؟ تفضلوا ببيان ماجاءت به الشريعة المطهرة والله يتولى مثوبتكم السائل

م . ط . ل

﴿ الجواب عن مسألة القعود مع مرتكبي كبائر المعاصي ومشاهدتهم ﴾

قال الله تعالى (٦ : ٦٨ واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (٦٩) وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون (٧٠) وذر الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا) الخ وقال تعالى (٤ : ١٣٩ وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الآية

هذا حكم الله فيمن يرى الباطل والمنكر أو يسمعه من غيره ، وهو انه منهي عن القعود مع أهله ، لان أقل مافي قعوده إقرار ما يرى و يسمع واحترام أهله والاستئناس به وهو نوع من المشاركة فيه وراجع تفسير الآيات في ص ٤٦٣ من جزء التفسير الخامس و ص ٥٠٣ من الجزء السادس أو في المنار

وقال رسول الله (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم وغيره من حديث أبي مسعود البدري (رض) وقال (ص) « إياكم والجلوس بالطرقات » قالوا يارسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال « فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » قالوا وما حقه ؟ قال « غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر » رواه البخاري ومسلم . والاحاديث في هذا كثيرة وهي واضحة المعنى ، وقلما واظب أحد على مجالسة أهل المعاصي والانس بهم الا وشاركهم في معاصيهم ولو بعد حين . وما يجده أولا من إنكار القلب وتوبيخ الضمير الذي هو أضعف الايمان يزول بالتدريج ، فليتق العاقل ربه ولا يغشى مجالس المنكرات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويجالس أهلها الا لضرورة وبقدر الضرورة ان وجدت. وتقطيع الوقت ليس بضرورة ولا حاجة صحيحة، بل الوقت أثمن متاع العقل فعليه أن يصرفه فيما ينفعه في دينه أو دنياه، لا فيما يعد وسيلة الى اضاعتهما جميعا

﴿ الجواب عن مسألة سماع الغناء وآلات طرب ﴾

مسألة السماع فيها تفصيل، وخلاف عريض طويل، وأكثر فقهاء المذاهب المشهورة يكرهون سماع الغناء أو كثيره ويحرمون معازف المزامير والاوتار، والتحقيق ان الاصل فيها الاباحة، وانها تعرض لها أحوال تكون بها فتنة — وذرائع لمفاسد تكون بها محرمة أو مكروهة، وقد فصلنا القول فيها بذكر أدلة الحاظرين والمبيحين وتمييز صحيحها من سقيمها ووزن رواياتها بميزان الجرح والتعديل في الجزئين الاول والثاني من مجلد المنار التاسع من ص ٣٥ — ٥١ و ٤ — ١٤٧ وفي الصفحة الاخيرة منها خلاصة الفتوى في عشر مسائل وله تتمة وكشف شبهات معترض في (ص ١٨٥) من المجلد السابع عشر

﴿ الجواب عن مسألتي نجاسة الخمر والسيبرتو ﴾

أكثر الفقهاء قالوا بنجاسة الخمر وقال بعضهم بطهارتها ومنهم ربيعة شيخ الامام مالك من علماء السلف والقاضي الشوكاني والسيد حسن صديق من فقهاء الحديث المتأخرين. ولا يوجد حديث صحيح ولا حسن مصرح بنجاستها. وقد فصلنا القول فيها من قبل في المجلد الرابع (ص ٥٠٠ و ٨٢١ وفي غيره ومنه (ص ١٨٤ م ١٧) والسيبرتو لم يكن في عصر أئمة هذه المذاهب ولكن فقهاءها يقولون بنجاسته بناء على أنه نوع منها أو مستخرج منها، وفي ذلك مباحث طويلة فيما أشرنا اليه من فتوى المجلد الرابع بما تعلمها. ولدينا الآن فتوى من الهند بنجاسة كل من الخمر والكحول (السيبرتو) سئلنا عنها ونجيب في جزء قابل ان شاء الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ صلاة الظهر بعد الجمعة ﴾

(ج) صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة لم يرد فيها حديث صحيح ولا ضعيف بل هي مسألة اجتهادية في مذهب الامام الشافعي (رض) وقد فصلنا القول فيها مرارا (راجع فهارس المجلد السابع وما بعده

﴿ المسح على الخف المقطع والجوارب ﴾

(ج) اذا تقطع الخف فلم يعد ساترا للرجلين فلا يختلف الفقهاء في عدم جواز المسح عليه لان علته سترهما مع مشقة نزعهما وحكمه انهما بالستر يظلان طاهرتين نظيفتين وكلتاهما تزول بهذا التقطع . والمسح على الجوارب الساترة جائز وقد فعله النبي (ص) كما رواه أحمد وأصحاب السنن من حديث المغيرة ابن شعبة وصححه الترمذي ويجد السائل هذا البحث وما يتعلق به مفصلا في تفسير آية الوضوء من سورة المائدة وهو في الجزء السادس من التفسير (ص ٥) والمجلد السادس عشر من المنار (ص ٦٥٧ — ٦٦٥)

﴿ استدلال مشايخ الطرق لاتباعهم وتحكمهم في دينهم ودنياهم ﴾

(ص٣٧) من صاحب الامضاء بالاسكندرية

حضرة صاحب الفضيلة العلامة السيد محمد رشيد رضا حفظه الله

بعد تقديم واجبات الاحترام لمقام فضيلتكم السامي : لايخفى على مسلم اشتغالكم بالعلوم والمعارف سيما ماهو خاص منها بالشريعة الاسلامية السمحة وما جبلتم عليه من كرم الاخلاق وطهارة النفس ولذا جئت اليكم بالسؤال الآتي لازلتم ملجأ لكل قاصد ودليلا لكل حائر آمين واني أستحلفكم بالدين الحنيف السمح اجابتي على هذا السؤال على صفحات أول عدد يصدر من مجلتكم الغراء وهو :

(١) هل ورد نص شرعي يبيح لمشايخ الطرق أن يكلفوا المريدين أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقبلوا رجل شيخهم باطنا وظاهرا ؟ (٢) وهل يجوز لشيخ أن ينهى أولاده أو دراويشه أن يتعلموا العلم لان العلم على زعمه يوجد الكبر في النفس ؟ وأن يمنع أحدهم أن يشتغل الا بمهنة واحدة بمعنى ان النجار مثلا لا يجوز له أن يشتغل بالحدادة ولا الحداد أن يمارس النجارة لان ذلك يحرم على زعمه . وان هذا الشيخ حتم على أولاده بأن يذكروا الله ببعض أسماء الله الحسنى مع ترك باقي أسمائه تعالى. واذا سئل عن تفسير آية أو حديث يفسر ما سئل عنه وهو يدخن سيجارته مادا احدى رجليه أو كلتيهما معا ، وان هذا الشيخ جمع له جمعا عظيما من البسطاء وذوي القلوب الضعيفة وعمل له طريقا وهو يتجول من بلد الى أخرى لتقويته فهل هذا الطريق شرعي ؟

هذا هو السؤال وضحته لفضيلتكم ملتمسا الاجابة عليه كما ذكرت مع الشكر والثناء لاني في الحقيقة عامل مشتغل بالصناعة ويهمني كثيرا أمر ديني ، وفاتني أن أذكر لكم ان هذا الشيخ يزعم ان هذا الذكر مطابق للشرع وان الرسول صلى الله عليه وسلم جمع جمعا من أصحابه رضوان الله عليهم وذكرهم هذا الذكر اه

وختاما تفضلوا بقبول مزيد احترامي عبده منصور قنديل

(الجواب) ان من المصائب والنوائب أن يصل الجهل بضروريات الاسلام في مثل هذه البلاد المصرية الى أن يحتاج بعض الناس الى السؤال عن هذه الضلالات والجهالات هل ورد فيها نص شرعي وان كان الغرض منه جعله وسيلة الى إنكارها — كما نظن — عسى أن يهتدي بما ينشر فيها من الانكار بعض أولئك العوام المساكين الذين يصدقون كل من يتظاهر بالصلاح في كل ما يدعيه و يسلمون له كل ما يعزوه الى الشريعة و يحكيه عن الله تعالى وعن رسوله (ص) وهو يكذب في ذلك ويختلق بغير علم ولا حياء من الله ولا خوف من مسلم يعرف ضروريات الدين أن ينكر عليه كذبه على الله ورسوله وإفساده على العامة دينهم كالشيخ المشار اليه بهذا السؤال ، والعلماء الرسميون الذين احتكروا رئاسة الدين بقوانين الحكومة فلما يعنى أحد منهم أقل عناية بأمر العامة ببحث أو سؤال ، أو هدي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإرشاد ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وهم يعلمون ما عليه الناس ، فان ذكر على مسمعهم مافشا في الناس من البدع المكفرة والمفسقة حوقلوا وتبرموا وقالوا: آخر زمان. ولكن اذا تصدى أحد لارشاد العامة و بيان حقيقة دينها لها وقال : هذا إيمان وذاك كفر ، وهذه سنة وتلك بدعة ، ورأوا له تأثيرا في العامة ، لا يعدم من أكبرهم عمائم وأطولهم لحى من يقوم في وجهه وينتصر للعامة عليه — فاذا ذكر بدع القبور بين ومنكراتهم التي تعد بالعشرات والمئات صاحوا في وجهه إنك تنكر زيارة القبور وكرامات الاولياء — واذا أنكر خرافات مشايخ الطريق التي قلبوا بها الدين رأسا على عقب هاجوا عليه العامة : هذا مبتدع أو معتزلي أو وهابي ينكر كرامات الاولياء ! ! فبحماية استحباب زيارة القبور للرجال لاجل تذكر الموت والآخرة التي لم ينكرها وهابي ولا غيره يبيحون للملايين من النساء والرجال مئات من المعاصي المجمع على تحريمها والتي تقوم الادلة على كون بعضها ردة عن الاسلام وخروجا من الملة — ويا ويح من يصرح بهذا — وبحماية كرامات الاولياء التي توسعوا فيها توسعا تأباه سنن الله في خلقه وشرعه لهداية عباده يبيحون لاهل الطرق ولغيرهم من الدجاجين والمتوهين ، مئات من الخرافات المنفرة عن الدين ، المشوهة لوجهه الجميل . وان بعض هؤلاء المعممين الرسميين ليحتمون لهذه البدع والخرافات ويغارون عليها غيرة لو بذلوا بعضها للكتاب والسنة لما عم الجهل بهما والاعراض عنهما العباد والبلاد ، حتى إنهم ليؤذون العالم النابه لرئاستهم ويستعينون على أذاه بالحكومة اذا هو دعا الناس الى السنة وأنكر تلك البدع عليهم ، كما فعلوا في دمياط غير مرة

ذلك ما جرأ بعض دجاجلة العوام على انتحال مشيخة الطريق والتصدر لارشاد الناس بل على إغوائهم وإضلالهم بما يعجز عنه كل شيطان مريد ، وماذا عسى أن نقول في مثل هذا الدجال الصغير وافساده اذا قسناه بكبار الدجاجين ، الذين يعد أتباعهم بالملايين ، ويقدسهم الالوف من العلماء المؤلفين ، والشعراء الفاوين ، كالشيخ احمد التيجاني الذي تستباح بالانتماء اليه جميع الفواحش والمنكرات لدعواه ان النبي (ص) ضمن لكل من يدخل في طريقته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجنة — وهو ماسنبينه في جزء آخر

وحسبنا في جواب هذا السؤال أن نقول بالاجمال ان مايدعيه هذا الدجال كذب معلوم بالضرورة ومايحمل عليه اتباعه إفساد لدينهم ودنياهم، فالدين لم يشرع فيه تقبيل رجل أحد ولا يده، وفي تقبيل رجل أيّ إنسان ذل تأباه عزة الايمان التي أثبتها الله لعباده المؤمنين، وتقبيل اليد ليس فيها لذاتها هذا المعنى من الذل ولكن لايجوز أن يفعل على انه من الدين، ولكل أحد أن يشتغل بكل حرفة وكل صناعة يرى له فيها ربحا حلالا، وليس لاحد أن يحظر عليه ذلك حظرا دينيا، ولا يقبل قول أحد في عبادة من ذكر أو غيره الا بدليل يستند فيه الى كتاب الله أو سنة رسوله (ص) والسلف والمجتهدون معذورون فيما اتبعوه بالاجتهاد من ذلك ولا يعذر فيه مثل رجل المسئول عنه، وكيف يقبل قول من بلغ منه الجهل والضلال أن ينهى أتباعه عن طلب العلم الذي لا يصح بدونه عبادة وما ذلك الا أن العلم هو الذي يفضحه ويظهر جهله وكذبه على الله ورسوله مع سوء أدبه عند الكلام فيهما مادا رجليه نافخا دخانه. ولم يبين السائل الذكر الذي حمل أتباعه على التزامه لنعلم هل له أصل ما في السنة أم لا، ولكننا نقطع بأنه لم يرد في السنة شيء في التزام ذكر معين والاستغناء به كل ما سواه

﴿ تزوج المسلمين بالكتابيات ﴾

(س ٣٧) من وكيل المنار في الارجنتين السيد عبد الكريم عكره

كتب الينا وكيلنا المذكور يشكو من تزوج بعض المسلمين السوريين ببعض نساء البلاد ورغب الينا ان نكتب في المنار تحذيرا لهم من ذلك لاعتقاده أنه غير جائز شرعا

ونجيب عن هذا بأن نساء تلك البلاد كتابيات ونكاح المحصنات (العفيفات) منهن جائز بنص سورة المائدة المحكمة وعليه جمهور السلف والخلف. الا أنه نقل عن عبد الله بن عمر (رض) منعه وحله وعلى المنع الشيعة الامامية. وقيده بعض الفقهاء بمن كن من سلائل أهل الكتاب قبل تحريف كتبهم وهذا من تدقيق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض الشافعية . ونحن نعتقد انه جائز بالنص وانه لايحرم الا لسبب آخر يدخل في باب سد الذرائع ، كأن يستلزم شيئاً من المفاسد المحرمة ، وأشدها أن يتبع الاولاد كلهم أو بعضهم الام في دينها إما بحكم قوانين تلك البلاد وإما لكون المرأة أرقى من زوجها علماً وعقلا وتأثيراً بحيث تغلبه على أولاده فتربيهم على دينها وتعلمهم عقائده وعباداته فيشبون عليه . وان من حكم حل هذا النكاح أن ترى المرأة غير المسلمة ما عليه زوجها من الدين المعقول الموافق للفطرة بعقائده وعباداته وآدابه واحكامه فيجذبها ذلك الى الاسلام . وإن أكثر المسلمين في تلك البلاد من العوام ولعلهم يرغبون في نساء شعبها لانهم يرونهن فوقهم مكانة ولا أدري كيف يكون حالهم معهن ، فاذا كن يحترمنهم كما يحترم الرجل من أبناء بلادهن وكانت عيشتهم معهن حسنة بالاحصان أي المنع من الفسق والاقتصاد وتربية الاولاد مع جعلهم تابعين لآبائهم في الدين فيكون هذا التزوج بهن حسنا مفيدا والا فلا

الهجر الجميل والصفح والصبر الجميل (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام ، العالم العامل ، الحبر الكامل ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام ، تقي الدين بن تيمية أيده الله وزاده من فضله — العظيم — عن الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل ، وما أقسام التقوى والصبر الذي عليه الناس؟

فأجاب رحمه الله : —

الحمد لله . أما بعد فان الله أمر نبيه بالهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل ، فالهجر الجميل هجر بلا أذى ، والصفح الجميل صفح بلا عتاب ، والصبر

(*) هذه الفتوى أو الرسالة ارسلها الينا مع كثير من امثالها صديقنا علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي أثابه الله وسننشرها ثم نجمعها في كتاب خاص انه شاء الله تعالى

الجميل ، صبر بلا شكوى ، قال يعقوب عليه الصلاة والسلام (انما أشكو بثي وحزني الى الله) مع قوله (فصبر جميل ، والله المستعان على ماتصفون) فالشكوى الى الله لاتنافي الصبر الجميل ، ويروى عن موسى عليه الصلاة والسلام انه كان يقول : اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان . ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، اللهم الى من تكلني ؟ أإلى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت الظلمات له ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي سخطك ، أو يحل عليّ غضبك ، لك العتبى حتى ترضى » ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر (انما أشكو بثي وحزني الى الله) ويبكي حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف . بخلاف الشكوى الى المخلوق . قرىء على الامام احمد في مرض موته ان طاووسا كره أنين المريض وقال : انه شكوى . فما أنّ حتى مات . وذلك ان المشتكي طالب بلسان الحال ، إما ازالة مايضره أو حصول ماينفعه ، والعبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه ، كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « إذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله »

ولا بد للانسان من شيئين طاعته بفعل المأمور ، وترك المحظور ، وصبره على مايصيبه من القضاء المقدور ، فالاول هو التقوى والثاني هو الصبر ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا) الى قوله (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين) وقال تعالى (لتبلوُنّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقد قال يوسف (أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا انه من يتق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)

ولهذا كان لشيخ عبد القادر ونحوه من المشايخ المستقيمين يوصون في عامة كلامهم بهذين الاصلين — المسارعة الى فعل المأمور ، والتقاعد عن فعل المحظور ، والصبر والرضا بالامر المقدور ، وذلك ان هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة بل ومن السالكين ، فمنهم من يشهد القدر فقط و يشهد الحقيقة الكونية ، دون الدينية ، فيرى ان الله خالق كل شيء وربه ولا يفرق بين مايحبه الله و يرضاه ، و بين مايسخطه و يبغضه وإن قدره وقضاه ، ولا يميز بين توحيد الألوهية ، و بين توحيد الربوبية ، فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات — سعيدها وشقيها — مشهد الجمع الذي يشترك فيه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والنبي الصادق ، والمتنبي الكاذب ، وأهل الجنة وأهل النار ، وأولياء الله وأعداؤه ، والملائكة المقربون والمردة الشياطين . فان هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية ، وهو ان الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره . ولا يشهد الفرق الذي فرق الله بين أوليائه وأعدائه ، و بين المؤمنين والكافرين ، والابرار والفجار ، وأهل الجنة والنار ، وهو توحيد الالوهية ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ، وفعل مايحبه ويرضاه ، وهو مأمر به ورسوله أمر ايجاب أو أمر استحباب ، وترك مانهى الله عنه ، ورسوله وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان . فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون مع أهل الحقيقة الدينية والا فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى ، فان المشركين يقرون بالحقيقة الكونية اذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون: الله[1] قل أفلا تتقون؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار

(١) هذه قراءة أبي عمرو و يعقوب في الآية وما بعدها وقرأ الباقون (لله) وهي المشهورة عندنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله قل فأنى تسحرون ؟) ولهذا قال سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال بعض السلف تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون الله . وهم مع هذا يعبدون غيره

من أقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين فهو أكفر من اليهود والنصارى. فان أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاؤا بالامر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا)

وأما الذي يشهد الحقيقة الكونية، وتوحيد الربوبية الشامل للخليقة، ويقر أن العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويسلك هذه الحقيقة، فلا يفرق بين المؤمنين والمتقين الذين أطاعوا أمر الله الذي بعث به رسله، وبين من عصى الله ورسوله من الكفار والفجار، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى[1]. لكن من الناس من قد لمحوا الفرق في بعض الامور دون بعض، بحيث يفرق بين المؤمن والكافر، ولا يفرق بين البر والفاجر، أو يفرق بين بعض الابرار، وبين بعض الفجار، ولا يفرق بين آخرين اتباعاً لظنه وما يهواه فيكون ناقص الايمان بحسب ماسوى بين الابرار والفجار، ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب مافرق به بين أوليائه وأعدائه

ومن أقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرية كالمعتزلة وغيرهم الذين هم مجوس هذه الامة، فهؤلاء يشبهون المجوس، وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس . ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضا، فهو من أتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه

فهذا التقسيم من القول والاعتقاد . وكذلك هم في الاحوال والافعال .

(١) الاصطلاح الشرعي ان الكفر اذا أطلق انصرف الى مايقابل الاسلام وبضاده فالمراد هنا أن من المسلمين جنسية او ادعاء من هم ابعد عن الاسلام من اهل الكتاب . ويطلق الكفر احيانا بالمعنى اللغوي . واذا اطلق في عرف هذا العصر فالمراد به الالحاد والتعطيل المطلق ولا يدخل فيه اهل الكتاب كما هو ظاهر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور ، ويترك المحظور ، ويصبر على ما يصيبه من المقدور ، فهو عند الامر والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك . كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) . وذا أذنب استغفر وتاب ، لايحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات ، ولا يرى المخلوق حجة على رب الكائنات ، بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد « اللهم أنت ربي لااله الا أنت ، خلقتني وانا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ما استطعتُ ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ، ويعلم أنه هو هداه ويسره لليسرى ، ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها ، كما قال بعضهم : أطعنك بفضلك ، والمنة لك ، وعصيتك بعلمك ، والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي ، الا ما غفرت لي . وفي الحديث الصحيح الالهي « يا عبادي انما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضع .

وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة ، حسب الاستطاعة ، لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر مايوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر ، وآخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك لكنهم لا يلتزمون أمر الله ورسوله واتباع شريعته . وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين . فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه ، والذين من قبلهم يريدون أن يعبدوه ولا يستعينوه ، والمؤمن يعبده ويستعينه

والقسم الرابع شر الاقسام وهو من لا يعبده ولا يستعينه ، فلا هو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني . وانقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل وقوع المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك ، وما يكون بعده من صبر ورضاء ونحو ذلك . فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني ، والصبر على مايقدر عليه من القدر الكوني ، أربعة أقسام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(أحدها) أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم أهل السعادة في الدنيا والآخرة

(والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر، مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن اذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلعه

(والثالث) قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها . وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها اكثر الناس

وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الاذى والآلام . وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض أو فسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق، ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان، والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك، يصبرون على أنواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر

(وأما القسم الرابع) فهو شر الاقسام: لا يتقون اذا قدروا، ولا يصبرون اذا ابتلوا، بل هم كما قال الله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا) فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم اذا قدروا، ومن أذل الناس وأجزعهم اذا قهروا. ان قهرتهم دلوا لك ونافقوك وحبوك واسترحموك، ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل، وان قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلبا، وأقلهم رحمة واحسانا وعفوا، كما قد جرب المسلمون في كل من كان عن حقائق الايمان أبعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في كثير من أمورهم وان كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم ، فالاعتبار بالحقائق « فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ، وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار واعمالهم كان شبيها لهم من هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام أو ما يظهره منه بمنزلة ما معهم من الاسلام ومايظهرونه منه ، بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظهرين للاسلام من هو أعظم ردة وأولى بالاخلاق الجاهلية ، وأبعد عن الاخلاق الاسلامية ، من التتار

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته « خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » واذا كان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ، فكل من كان الى ذلك أقرب وهو به أشبه ، كان الى الكمال أقرب وهو به أحق . ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه أضعف ، كان عن الكمال أبعد وبالباطل أحق . والكامل هو من كان لله أطوع ، وعلى مايصيبه أصبر ، فكلما كان أتبع لما يأمر الله به ورسوله وأعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه ، وصبراً على ماقدره وقضاه كان اكمل وافضل . وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك

وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعا في غير موضع من كتابه وبين أنه ينتصر العبد على عدوه (١) من الكفار المحاربين المعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة قال الله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال الله تعالى (لتبلون في أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون * ها أنتم اولاء

(١) المنار : كذا في الاصل والمعنى الذي يقتضيه المقام — أنه ينصر العبد الصابر على عدوه الخ وقوله بعده المحاربين المعاهدين غير ظاهر فان المعاهد غير المحارب ولعله المعاندين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال اخوة يوسف له (ئك لانت يوسف ؟ قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين) وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموما وخصوصا فقال تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

وفي اتباع ما أوحى اليه التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لامره وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) وقال تعالى (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) وقال تعالى (استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) فهذه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر

وقرن بين الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) . وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة أيضا رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كاهل القوة والقسوة ومنهم من يرحم ولا يصبر كاهل الضعف واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن ، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كاهل القسوة والهلع . والمحمود هو الذي يصبر و يرحم كما قال الفقهاء في المتولي ينبغي أن يكون قويا من غير عنف ، لينا من غير ضعف ، فبصبره يقوى و بلينه يرحم ، و بالصبر ينصر العبد فان النصر مع الصبر ، و بالرحمة يرحمه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « انما يرحم الله من عباده الرحماء » وقال « من لا يرحم لا يرحم » وقال « لا تنزع الرحمة الا من شقي » « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من السماء » والله أعلم انتهى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

فصل

(اجماع أهل السنة والشيعة)

ومثل الصحابة والتابعين كانت سيرة أئمة العترة عليهم السلام مع خلفاء بني أمية وبني العباس ، وان كانوا يرون أنفسهم أحق بالخلافة منهم ولكن مع ذلك لم يخرج عليهم أحد منهم ولا انحرف عن طاعتهم ، بل ظلوا تحت أمرهم طائعين لان حكومتهم كانت قد تمكنت ولما خرج من أهل البيت زيد ، أنكر عليه الامام جعفر الصادق عمله لنفس هذه العلة ، ولاجلها قبل الامام علي الرضا عهد المأمون بالخلافة اليه ، لانه لو لم يكن من المسلمين لخلافته لما قبل العهد ، بل لرده واجتنبه منه ، ولكنه لما لم يفعل ذلك ثبت أنه كان يرى خلافة المأمون صحيحة وشرعية

ولا يؤثر عن هؤلاء الائمة الاطهار شيء يثبت انهم منعوا أحداً من طاعة خلفاء بني امية أو بني العباس ، بل في كتب الحديث للامامية (مثل أصول الكافي وغيره) مايثبت أنهم مع اظهار استحقاقهم للخلافة وشكوى الغصب والتعدي عليهم منعوا الناس من الخروج والغدر ـ

وأقطع برهان على ذلك عمل أمير المؤمنين علي عليه السلام نفسه ، الذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تدعي الامامية أن خلافته كانت منصوصة، وأنه لم تكن الخلافة جائزة لغيره في حياته ـ ولكن مع ذلك معلوم لكل الناس أنه عليه السلام لم يخرج على الخلفاء الثلاثة الذين مضوا قبله، ولا تخلف عن بيعتهم، ولا تنحى عنهم، بل ظل عشرين سنة على طاعتهم وموازرتهم ومناصحتهم، حتى لحقوا بربهم، وآلت الخلافة اليه، فأثبت بعمله هذا أن الامة اذا اجتمعت على رجل فلا تجوز مخالفته وعصيانه والخروج عليه ـ بل على كل الناس ان يطيعوه ويسمعوا له ـ فاذا كان هذا غير جائز للخليفة المنصوص على خلافته فكيف يجوز لعامة الناس؟

فأهل السنة والامامية كلاهما متفقان في هذه المسئلة. وأما الخلاف المشهور بينهما فانما هو في الخلافة الجمهورية، أي اذا قدرت الامة على نصب الخليفة فمن تنصب؟ فالشيعة تشترط أن يكون من أهل البيت فقط، وأهل السنة ينكرون هذا الشرط، ولكن اذا لم يبق هذا النظام ولم تقدر الامة على الانتخاب لتغلب المتغلبين على الخلافة، فان قويت شوكتهم وانقادت لهم الامور انقيادا فكل من الشيعة واهل السنة يقول قولا واحدا وهو أنه يجب طاعته والى هذا ذهبت الزيدية وغيرها من الفرق الاسلامية —

❁ فصل ❁

(الشواهد من كتب العقائد والفقه)

وانا لنورد ههنا بعض مقالات كتب العقائد والفقه التي يتدارسها المسلمون في مدارسهم ومساجدهم من قرون عديدة ليسهل على الناس مراجعتها:

ففي شرح المقاصد « وأما اذا لم يوجد من يصلح لذلك، أو لم يقدر على نصبه لاستيلاء أهل الباطل وشوكة الظلمة وأرباب الضلال، فلا كلام في جواز تقليد القضاء، وتنفيذ الاحكام واقامة الحدود وجميع ما يتعلق بالامام من كل ذي شوكة » ثم بعد بيان شروط الامامة يقول « نعم اذا لم يقدر على اعتبار الشرائط، جاز ابتناء الاحكام المتعلقة بالامامة على كل ذي شوكة يقتدر، تغلب أو استولى » وفيه أيضا « فان لم يوجد من قريش من يجمع الصفات المعتبرة، ولي كناني، فان لم يوجد، فرجل من ولد اسماعيل، فان لم يوجد، فرجل من العجم »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي المرقاة شرح المشكاة « وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرم وإن كانوا فسقة ظالمين» ويكتب في شرح حديث «من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد» اي له اهلية الخلافة أو التسلط والغلبة »

وفي الشامي « ويثبت عقد الامامة إما باستخلاف الخليفة اياه كما فعل ابو بكر ، وأما ببيعة جماعة من العلماء أو من اهل الرأي »

وفي المسامرة « والمتغلب تصح منه هذه الامور (أي ولاية القضاء والامارة والحكم بالاستفتاء ونحوها) للضرورة وصار الحال عند التغلب كما لو لم يوجد قرشي عدل ، أو وجد ولم يقدر (اي لم توجد قدرة على توليته لغلبة الجورة) اذ يحكم في كل من الصورتين بصحة ولاية من ليس بقرشي ، ومن ليس بعدل للضرورة »

وفي شرح المواقف ، بعد بيان شروط الامامة « ولكن للامة أن ينصبوا فاقدها ، دفعا للمفاسد التي تندفع بنصبه » (٦٣٤)

وقد أعطى البحث حقه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري حيث يقول « وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء ، وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر الصريح — فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث » (ج١٣:٧). ويكتب في شرح حديث حذيفة « فاعتزل الفرق كلها » الخ « قال ابن بطال : فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور لانه وصف الطائفة الاخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم ومع ذلك أمر بلزوم الجماعة » (كتاب الفتن ج ١٣ صفحة ٣١)

ويشرح حديث « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي » بقوله «وأما لو تغلب عبد حقيقة بطريق الشوكة فان طاعته تجب اخمادا للفتنة» (فتح ١٣ : ١٠٩)

وقال النواوي في شرح مسلم « وهذه الاحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الاحوال ، وسببها اجتماع كلمة المسلمين فان الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم ،وقوله:(ص)« وان كان عبدا مجدع الاطراف »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يعني مقطوعها ، والمراد أخس العبيد ، أي اسمع وأطع للامير وان كان دنيء النسب ..... ويتصور امارة العبد اذا ولاه بعض الأئمة أو تغلب على البلاد بشوكته » الخ (ج ٢ : ١٢٥)

وقال الشوكاني في الدرر البهية « وطاعة الأئمة واجبة الا في معصية الله، ولا يجوز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة » (شرح الدرر : ٤١٤)

وفي حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي « إن الخليفة اذا انعقدت خلافته ثم خرج آخر ينازعه حل قتله »

وقال رضي الله عنه في كتابه (ازالة الخفاء) بالفارسية ما ترجمته وقد بحث في هذا الكتاب مسئلة الخلافة بحثا مفصلا وجامعا لم يبحث مثله أحد قبله): « والخروج على السلطان الفاقد للشروط أيضا حرام بعد اجتماع المسلمين عليه، الا أن يظهر كفرا بواحا وقد تواتر هذا معنى » (ج ١ ص ١٣٢)

وحاصل هذه الشواهد ما مر بك من قبل ، وهو أنه يجب أن يكون للامة امام وخليفة ذو شوكة ومنعة في كل زمان ، فان استطاعت الامة نصبه فعليها أن تراعي الشروط التي شرطتها الشريعة في الخليفة وان استولى على الخلافة رجل مسلم بقوته وعصبيته ، وانعقدت حكومته فيجب على كل الناس طاعته وقبول خلافته سواء أكان قرشيا أو غير قرشي ، عادلا أو ظالما، عالي النسب أو دانيه ، حتى وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف فيجب طاعته ومناصرته على أعدائه الا أن يرى منه كفر ظاهر ، فلا طاعة في هذه الحالة ولا سمع ولا بيعة ، بل يجب الخروج عليه ومقاتلته — ومن لم يستطع ذلك يهاجر من بلده — قال العسقلاني في الفتح « فمن قام على ذلك فله الثواب ، ومن داهن فعليه الاثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الارض » (١٣ : ١٠٩)

وعلم من هذا ايضا أن الكفار اذا استولوا على بلد اسلامي يجب على أهله الخروج عليهم ومقاتلتهم . ولا يحل لهم أن يداهنوهم ويداروهم ، ومن عجز فعليه الهجرة من ذلك البلد ، لانه لا يجوز لمسلم البقاء تحت حكم الكفار!

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

مقدمة

لقد كان مما أصاب شيخنا الاستاذ الامام، من وراثة العلماء للانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ان حياته كانت خيرا للناس بما كان ينفعهم فيها بعلمه وعمله،وسيرته وهديه، اذ كانت كل أوقاته مصروفة لمنفعة الامة في جملتها، أو للعفاة وطلاب الحاجات من أفرادها ، وقلما كان يعمل لخاصة نفسه أو لبيته شيئا ؛ فلما مات كان في مماته خير للناس بما شعروا به من الحاجة الى الاصلاح الذي كان يقوم به، والى الامام الذي يهدي السبيل، والاستاذ الذي ينير الدليل ؛ والطبيب الذي يشفي العليل ، والزعيم الذي يسير بالامة من حنادس الشبهات ، ودياجير المشكلات ، الى نور الحق المبين ، فيما ينبغي أن تكون عليه في أمري الدنيا والدين ، فما زال أهل البصيرة منها والرأي ، يذكرونه كلما حزبهم أمر، «وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر» ، حتى اذا ماتطورت الاطوار ، وانسلخ من الليل النهار، واضطربت في المصلحة العامة الافكار ، توجهت العقول البحاثة، والقلوب الحساسة ؛ الى الاحتفال باحياء ذكره ، وتجديد البحث في تعليمه وهديه ؛ اشترك في ذلك الشيخ الضعيف الأوى، والكهل الحصيف الذي بلغ أشده واستوى، والاستاذ المعلم، والتلميذ المتعلم؛ حتى كان السابق الى اقتراح ذلك في الصحف اليومية؛ طالب من طلبة المدارس الثانوية، لم يدرك عهد الامام، ولكنه أدرك قيمة ما ترك للامة من الهدى والاعلام ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تشاور بعض تلاميذ الامام ومريديه في الاحتفال باحياء ذكره، وعرض خلاصة من سيرته على الامة مع شيء من نتائج فكره، فألفوا لذلك لجنة من إخوانهم، واختاروا أن يرأس لجنتهم أحد اكابر علماء الازهر الاعلام، الواقفين على نشأة الاستاذ الامام، وعرضوا ذلك على فضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت الذي كان زميله في طلب العلم، وخلفه في إفتاء ديار مصر، ورجحوه بمجموعة من المزايا لا توجد في غيره، فحبذ رأيهم، وقبل اقتراحهم، ثم اختاروا بعد التشاور أن يكون الاحتفال في دار الجامعة المصرية، واجتمعوا فيها المرة بعد المرة، فوضعوا النظام له، وجمعوا من أنفسهم ما قدروه له من النفقة، وقرروا أن يفتتح الجلسة الرئيس بخطبة مناسبة للمقام، ويتلوه الاستاذ أحمد لطفي بك السيد بكلمة يقولها باسم الجامعة المصرية، وأن يقفي عليه الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بالقاء ترجمة الامام مفصلة، وأن يلقي بعده الدكتور منصور فهمي كلمة يعبر بها عن رأي النابتة المصرية في الامام، وماله في قلوب أحرار الفكر من المقام، وأن ينشد بعده محمد حافظ بك ابراهيم قصيدته، ثم يختم الحفلة صاحب المنار، بما عساه يتسع له الوقت من الكلام،

ثم انهم بعد ذلك نشروا في الجرائد ما يأتي:

احياء ذكرى الاستاذ الامام

فكر جماعة من تلاميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في الاحتفال باحياء ذكراه وتألفت لجنة منهم برئاسة زميله حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت وقررت أن تكون الحفلة بدار الجامعة المصرية الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٠ الموافق ١١ يوليو سنة ١٩٢٢ (وهو يوم وفاته بالحساب الشمسي).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ووضعت اللجنة نظام الحفلة وعينت خطباءها مراعية مايتسع له الوقت وما يناسب الغرض من الاحتفال بامام مصلح .

وستطبع اللجنة مايلقى في الحفلة في كراسة خاصة مع مايرد اليها من الخطب والقصائد المختارة . .

وهذه أسماء حضرات أعضاء اللجنة : —

١ — الشيخ محمد بخيت — رئيس

٢ — السيد عبد الحميد البكري

٣ — السيد محمد رشيد رضا

٤ — الشيخ محمد مصطفى المراغي

٥ — الشيخ محمد هلالي الابياري

٦ — الشيخ عبدالمجيد سليم

٧ — الشيخ مصطفى عبد الرازق

٨ — الشيخ علي سرور الزنكلوني

٩ — احمد زكي باشا

١٠ — حسن عبد الرازق باشا

١١ — السيد عبدالرحيم باشا الدمرداش

١٢ — احمد بك لطفي السيد

١٣ — حنا بك باخوم

١٤ — الدكتور طه حسين

١٥ — الدكتور منصور فهمي — السكرتير

***

ولما جاء اليوم الموعود كانت اللجنة قد أتمت الاستعداد للاحتفال في بوحبة دار الجامعة المصرية بعد اذن مجلس ادارة الجامعة لها بذلك ففرشت أرضها بالرمل الاصفر ، ونصبت في صدر المكان منبر الخطابة وفرشت أرضه بالطنافس العجمية النفيسة، ووضعت عليها الارائك والمقاعد الوثيرة ، وصفت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من ورائه كراسي الحيزران، بعدد ماوزعت من رقاع الدعوة على العلماء وخواص الامة من جميع الطبقات

وما جاءت الساعة المعينة للبدء في الاحتفال الا وكانت المقاعد كلها قد شغلت بالمدعوين، وفي مقدمتهم حضرة صاحب المعالي محمد شكري باشا وزير الزراعة جاء من الاسكندرية لاجل حضور الحفلة بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن هيئة الوزارة

وزاد أناس تجددوا فاذن لهم، فاضطر كثير منهم الى الوقوف وراء الصفوف فكان المجموع زهاء الف وثلاثمائة نسمة. وقد بدئ الاحتفال بقراءة بعض الحفظة آيات من القرآن الحكيم. وبعد فراغه ابتدر المنبر الاستاذ الشيخ محمد بخيت رئيس لجنة الاحتفال وتلا خطبته الافتتاحية، وتلاه سائر الخطباء على الترتيب المتقدم

الخطبة الافتتاحية

لفضيلة رئيس لجنة الاحتفال

أيها السادة النجباء الاذكياء

إني أشكر لكم على تلبيتكم الدعوة، وتشريفكم هذه الحفلة، وإني أعتقد أن كلا سواء في اجابة هذه الدعوة، لانها على الحقيقة دعوة صادرة من تلك الروح الطاهرة روح الامام الذي نحتفل اليوم بذكراه، فانها هي التي دعتنا جميعا وجذبت قلوبنا الى حضور هذه الحفلة المباركة، فهي الآن ترفرف فوق رؤوسكم لتتولى شكركم بنفسها على احتفالكم بذكراها. وتثني عليكم ثناء جميلا حيث ذكر تمرها بلسان صدق في الآخرين

هذه الروح هي روح الامام الخطير، والاستاذ الكبير، والمحقق الشهير، والفيلسوف القدير، الغفور له (الشيخ محمد عبده) ولقد صاحبناه طيب الله ثراه، وجعل الجنة منقلبه ومثواه، هذا الماء زمن ألقى الدروس بالازهر من

الصغر الى أن تخرجا منه ، ولازمنا معا كبار شيوخ الازهر في تلقي العلوم الشرعية من فقه وغيره ، وتلقي العلوم العربية من نحو وبلاغة وغيرهما ، ومن العلوم العقلية المنطق والفلسفة ، ومن العلوم الطبيعية غير ذلك كالهيئة بقسميها ، وممن لازمناهم معا في العلوم العقلية المغفور له السيد جمال الدين الافغاني والمغفور له الشيخ حسن الطويل .

وبعد أن تخرجنا من الازهر لازم الاستاذ المشار اليه السيد جمال الدين رحمه الله ،

فكان الاستاذ فيلسوفا في العلوم الشرعية عارفا بروح الشرع وحكمة التشريع أصولا وفروعا — فيلسوفا في العلوم العقلية عارفا بحقائق الموجودات علويها وسفليها على حسب الطاقة البشرية ، فكان اذا غاصت روحه في بحار التحقيق استخرجت درر المعاني ولآلئها فنظمتها في سلوك المباني الذهبية ، وجعلتها قلائد تتحلى بها أعناق ذوي الفضل والهمم العالية ، واذا صعدت الى سماء التدقيق تخيرت من دراري الحقائق أعلاها وأغلاها ونثرتها شموسا تشرق في أفق قلوب ذوي العناية بالعلوم فيشاهدون بعين البصائر من الحقائق العلوية فوق ما يشاهدونه بالابصار ، والشمس في رابعة النهار .

كان فيلسوفا في العلوم العربية كملت فيه ملكة الفصاحة حتى اذا تكلم أدهش الفصحاء ، كما كملت فيه ملكة البلاغة ، فاذا خطب حير البلغاء ، فكانت عباراته شفاء لاولي الالباب ، واشاراته نجاة للطلاب ، فهو معيار العلوم ، ومشكاة المنطوق منها والمفهوم ، ولذلك لما انتقل في مثل هذا اليوم من دار الفناء الى دار البقاء وترك في هذه الدار فراغا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان يشغله وحده ، ولم يستطع أحد أن يشغله بعده ، ذابت أسفا عليه أكباد عارفي فضله ، فسالت من العين ، سيل العين دمعا بغير عين ، فكان حقيقا بأن نقول فيه

انا لا نبكي على كل ميت ... غير انا نبكي الذي هو ا ة

إن يعش كان للبلاد حياة ... أو يمت كان موته موت ا ة

جعله الله من الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . آمين ؟

مفتي الديار المصرية سابقا

محمد بخيت

كلمة الترحيب باسم

﴿ الجامعة المصرية ﴾

لحضرة الاستاذ أحمد لطفي بك السيد أحد أعضاء مجلس ادارتها

أيها السادة

اسمحوا لي أن أقدم لكم باسم الجامعة المصرية تحياتها وترحيبها بكم وبالغرض الشريف الذي يجمعكم اليوم للاحتفال بذكرى الامام الشيخ محمد عبده

لم يكن غرض اجتماعنا تأبين المرحوم الامام من جديد بل غرض الاجتماع في هذا اليوم الموافق يوم وفاته رضي الله عنه أن نستمع لخطيب الحفلة الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي سيدرسه درسا تفصيليا على قدر الامكان في هذا المقام . وما ظننا ان هناك شروطا يجب اجتماعها ومناسبات ينبغي تحينها لدرس رجل من أئمة العلم والاصلاح أكثر الحاضرين هنا اما تلميذ له أو تلميذ لتلاميذه ، بل ذلك واجب علينا . وان أقل قدر من المناسبة يجعل القيام بهذا الواجب سائغا ان كان الواجب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو أيضا يحتاج القيام به الى المناسبات

أيها السادة — إن لنا نحن المصريين من جهة كوننا أمة متمدنة حقا نقتضيه من الانسانية جمعاء وهو مساواتنا بكل أمة متمدنة في الحقوق الدولية . وان علينا مقابل هذا الحق واجبا يلزمنا أداؤه، وهو احتمال نصيب من المسئولية عن الارتقاء العام للانسانية في مدارج الكمال من جميع جهاته . فكل عصر يجب أن يؤدي حسابا عما عمل لخير الانسانية، وكل أمة يجب عليها أن تحمل نصيبها من المسئولية عن هذا العمل بقدر استعدادها . ومن الخطأ أن يظن بأن نصيبنا من هذه المسئولية ضئيل القدر خفيف الحمل . بل الامر على ضد ذلك ، نصيبنا من المسئولية يجب عدلا أن يربو على نصيب كثير من الامم . ربما عدّ غيرنا هذا القول غلوا في تقدير قيمة أمتنا ومنافيا للتواضع المحمود . ولكن هل أستطيع الحيد عن صيغة نتيجة منطقية يسلم كل العلماء بمقدماتها: الاجماع واقع على ان نظرية الانتقال الوراثي صحيحة، والاجماع واقع على اننا سلالة معلمي الانسانية والهادين الى طرائق كمالها من جهة العلوم والآداب، ومن جهة أنظمة الحكم ومختلف الصناعات ... الخ — فيجب أن يقع الاجماع أيضا على اننا من أشد الامم استعدادا لاحتمال المسئولية عن الارتقاء الانساني العام . ولا ينقصنا في ذلك الا زوال الموانع الخارجية التي حالت منذ بضعة قرون بيننا وبين الظهور باحتمال هذه المسئولية والمشاطرة في المجد العلمي العام

على هذا الاعتبار يجب علينا أن نتخذ نهضتنا العلمية الحاضرة بشير الرجوع الى مضمار المسابقة العلمية العامة وأن نوطد أنفسنا على العمل بجد للاستعداد الى هذه المسابقة .

ومن صنوف العدة أن نتبين حقيقة مركزنا العلمي ؛ وليس مركزنا العلمي شيئا آخر الا تقدير ما أنتجت بلادنا من النوابغ الذين هم أركان نهضتنا الحاضرة — أولئك هم مصابيح الماضي تنبعث منها أنوار الهداية الساطعة فتكشف للحال طريقه الى الامام في ظلمات الاستقبال

وأكبر هؤلاء النبغاء هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده الذي سيتفضل بخطيب الحفلة فيفصل الكلام عليه تفصيلا

وإني في الختام يسرني أن أعلن اليكم أن حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوزراء وحضرات أصحاب المعالي زملاءه أرادوا أن يشاطروكم الاحتفال بذكرى المرحوم الامام فأنابوا عنهم أحدهم حضرة صاحب المعالي محمد شكري باشا وزير الزراعة، وهي منة تذكر للحكومة بالثناء على جميل صنعها .

وأعلن أيضاً أن حضرة صاحب الفضيلة والارشاد السيد عبد الرحيم باشا الدمرداش قد تبرع للجامعة بما يؤتيها غلة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه مصري لانشاء كرسي لعلم الاخلاق تخليداً لذكرى المرحوم الامام، جزاه الله عن العلم خير الجزاء.

* *

ترجمة الاستاذ الامام

لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى عبد الرازق

(المنار) لما كان معظم ما كتبه هذا الاستاذ البليغ من ترجمة استاذنا ملخصا من ترجمتنا التي نشرناها في المنار عقب وفاته رأينا أن نكتفي بنقل شذرات منها لاشتمالها على فوائد من الاستنتاج والاستنباط . على النحو الذي جرينا عليه في الجزء الاول من تاريخه فمن ذلك قوله في تأثير التصوف في نفسه بعد اتصاله بالشيخ درويش

وليس عندنا بيان عن هذا الشيخ الصوفي ، نستطيع أن نفهم به أحواله النفسية والعقلية ، ونتبين كيفية سلطانه على نفس مريده ، تلك النفس القوية الحرة الفائرة ، التي راض الشيخ درويش جماحها في خمسة عشر يوما ، غير أن الذي رواه الاستاذ من حال شيخه ، يدل على أنه كان رجلا ساذجاً ، نير البصيرة ، طيب القلب ، سمحا سهلا مؤمنا يغذي ايمانه بتفهم القرآن ، وبضروب سهلة من العبادة والرياضة

وأمثال هذا الصوفي يوجدون شذاذا ، بين الاعداد الكثيرة من رجال الطرق، ويكون لهم أثر روحي في المستعدين من مريديهم ، بما في نفوسهم من صفاء ، وما في إيمانهم من قوة ليست مستمدة من ناحية علمية

«ولا ينكر أثر الشيخ درويش خضر بتربيته الصوفية في نفس أستاذنا فان ذلك الشيخ الصوفي الذي أخذ بزمام الجانب الروحي من تلميذه الفتى في عنفوان ثورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفسية ، قد وجه عواطف الشباب وخيالاته الى معان من اللذائذ القدسية

واذا كانت التربية الحديثة تدعو الي تهذيب الذوق بفنون الجمال، فان التربية الصوفية تدعو الى تلطيف السر بأنواع من الرياضة ، كالعبادة المشفوعة بالفكرة، والالحان المستخدمة لقوى النفس ، الموقعة لما لحن فيها من الكلام موقع القبول من الاوهام . ويعين على تلطيف السر — كما يقول ابن سينا في الاشارات — الفكر اللطيف ، والعشق العفيف ، الذي تأمر فيه شمائل المعشوق ، لا سلطان الشهوة ،

قال ابن سينا في وصف العارفين : « العارف هش بش بسام ، وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق ، وبكل شيء ؛ فانه يرى فيه الحق .

العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت . وجواد وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل . وصفاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تحرجها زلة بشر . ونساء للاحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق »

هذه التعاليم ، من شأنها أن تربي الوجدان ، وتلطف السر ، وتكمل النفس وتزينها ، ولا جرم كان الشيخ محمد عبده صوفي الاخلاق

* * *

قضى شيخنا نحو أربع سنين في بداية تكوينه الفكري ، بالجامع الاحمدي بطنطا ، ولا ينبغي أن نغفل أن مسجد طنطا هو جامع سيدي احمد البدوي ، فيه مقامه ومخلفاته ، وفيه آثار مقدسة عند العامة ، وكثير من الخاصة ، وفيه مقابر لغير السيد من الاولياء

والسيد البدوي هو أشهر أولياء القطر المصري ، وصيته وكراماته ذائعة في واهي النيل ، ولزائريه من صور التوسل والزلفى مالا يخلو من شطط ، ومسجد السيد مورد الدراويش ، ومجتمع المجاذيب ، الذين يظن كثير من الناس ان لهم في صفحة الغيب لمحات

هذه السنين الاربع ، في هذه البيئة ، نبهت عقل الشيخ محمد عبده الى البدع الدينية وعملها في العقول والاخلاق ، ولكنها أيضا مست بعض الجوانب من نفس الفتى فتركت في منازعها المتسامية الى الكمال والفهم موطن تأثر .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الاستاذ فيما كتبه من تاريخ حياته :

« وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة (سنة ١٢٨٢ هـ) كنت أطالع بين الطلبة وأقررلهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه أن يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت رأسي اليه قال ماسمناه : ماأحلى حلواء مصر البيضاء :

فقلت له : وأين الحلوى التي معك ؟

فقال : سبحان الله ! من جدّ وجد .

ثم انصرف فعددت ذلك القول الهاما ساقه الله اليّ ، ليحملني على طلب العلم في مصر، دون طنطا »

* * *

(ومنها قوله في حال الازهر واهله عند استاذنا للعلم فيه)

ذهب المجاورالشيخ محمدعبده بتصوفه الى الازهرفي شوال سنة ١٢٨٢ هـ — فبراير ١٨٦٦ م — في عهد اسماعيل الذي جلس على عرش مصرسنة١٢٧٩ هـ — ١٨٦٣ م —

كان اسماعيل يعرف قيمة العلم لحسن تربيته ، فعني بنشر المعارف ، وارسال البعثات العلمية الى أوروبا . وهو أول من أوجد حركة تجديد في الازهر ، وفي زمنه وضع الشيخ المهدي العباسي شيخ الازهر أول قانون للتدريس صدرت بتنفيذه ارادة سنية سنة ١٨٧٢ هـ — ١٨٧٢ م —

في ذلك العهد ، كان انتشر التعليم النظامي في القطر ، وأحس الازهر وأهله بذلك ، وكانت البعثة العلمية التي اختارها محمد علي من بين نجباء الطلبة في الازهر وأوفدها الى باريس سنة ١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م — قد حولت عددا كبيرا من الاذكياء عن التعليم القديم الموروث ، الى طريق جديد ، فاعتبرت في المرتبة الاولى علوم كانت في المرتبة الاخيرة ، في نظر الازهريين ، كالرياضة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا ، وصارت بابا للتوظف والكرامة

وساعدت هذه البعثة على اظهار مافي مناهج التعليم الازهري من العيوب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أراد الجيل العلمي الجديد، أن يعرب كتبا أوروبية مكتوبة في الغالب بلسان فرنسي ولم يجد في المصطلحات القديمة متسعا، فوضع عبارات محدثة، وأوجد أسلوبا جديدا لم يرض عنه الازهريون، ومنذ يومئذ دخل الى الازهر التنازع بين القديم والجديد

أما الروح السائدة في التعليم الازهري فكانت على ماوصفها بعض علماء الفرنجة في قوله: «ولئن كانت انماط التعليم والبحث في الازهر، تختلف عما هو مستعمل في الغرب للآن اختلافا اساسيا، فهي لاتختلف في شيء عن الانماط التي كانت عندنا قديما

أثر العلوم النقلية في قهر العقول، الذي أخذ في التلاشي عندنا منذ قرون، لايزل في عنفوان سطوته في الجامعات الاسلامية.

ليس الغرض من العلم عند أهل الازهر هو البحث للتحقيق، والمقارنة والتمحيص، ولكنه النقل الصحيح لما ترك لاقدمون

والمفروض ان الاجيال متراجعة لى الانحطاط، ولاجيال الحاضرة والمقبلة تتصل بعصر النبي — صلعم — من طريق هابط من أعلى الى أسفل، والأئمة المجتهدون بعداء في عصور ذاهبة في أعماق الماضي، لا يستطيع الحاضر أن يدرك غبارها»

ونسارع الى بيان أن استاذنا صرح في تفسير سورة (العصر) بفساد ما عليه الناس من ذم عصورهم ونسبة ما شاءوا من الخير الى ما كان قبلهم من العصور، كما صرح في كثير من أقواله وكتاباته بعيب التعليم الازهري ومناهجه.

هذا وكان في الازهر نفسه تدافع بين الشرعيين والصوفية، فأولئك كانوا يرون الخروج عن العلوم النقلية المتداولة في الازهر، تمردا على الدين، وهؤلاء كانوا يطمحون الى أنواع من المعارف التي لها مساس بالتصوف

ويدل على هذا التدافع ما ذكره الصوفي الازهري الشيخ حسن رضوان المتوفى سنة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٢ م —، في منظومته المسماة (روض القلوب المستطاب)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد كان للشيخ حسن رضوان مريدون بين علماء الازهر وطلابه ، منهم الشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمود البسيوني ، وهما من أساتذة الشيخ محمد عبده ، ومنهم الشيخ محمد عبده نفسه ، وجماعة من اخوانه

وبذلك يظهر أن شيخنا حينما جاء الى الازهر ، انضم الى حزب التصوف وهو أقل الحزبين جمودا ، وأقلهما نفرة من الجديد ،[1]

كان الاستاذ متصوفا في الازهر مدة الدراسة ، مع شيوخه وزملائه ، متصوفا في أيام المسامحات ، مع خال أبيه الشيخ درويش خضر ، حتى انطبع تفكيره بنوع من الخيال الصوفي ، الذاهب في الروحانيات الى ما يجاوز مدى الفهم أحيانا

***

انساق الاستاذ الشيخ حسن الطويل الى دراسة الفلسفة الاسلامية ، بحكم نزوعه الى التصوف ، والتصوف الاسلامي متأثر بمذاهب الفلسفة ، خصوصا مذهب أرسطو ، الذي يعتبر اماما لفلاسفة العرب

وانساق بعض الاساتذة كالشيخ محمد البسيوني ، الى مدارسة الادب باعتباره من الفنون الجميلة التي أحيا ذوقها في مصر اسماعيل

وقد كان الشيخ الطويل والشيخ البسيوني من أساتذة الشيخ محمد عبده ، فهو كان متصلا بالحركة الصوفية المخلوطة بالفلسفة ، وكان متصلا بالحركة الادبية على أنه لم يبعد كل البعد عن المحافظين على القديم ، فحضر دروس زعمائهم المشهورين كالشيخ عليش ، والشيخ الرفاعي ، والشيخ الجيزاوي ، والشيخ الطرابلسي والشيخ البحراوي .

اتصاله بالسيد الافغاني وتخرجه به

وفي سنة ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م — حضر الى مصر السيد جمال الدين الافغاني فصاحبه الاستاذ الشيخ محمد عبده ، يحضر دروسه ، ويلازم مجالسه ، التي كانت مجالس حكمة وعلم

(١) هذا مما اهتدى اليه الكاتب لهذه الترجمة دوننا فلم نذكر في ترجمة المنار ولا في التاريخ انه كان في الازهر حزب صوفي اذ لم نكن نعلم ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان الشيخ محمد عبده يومئذ فتى ، متأثرة كل عواطف قلبه الفتي بمنازع التصوف ، ورياضاته ومواجده . وكان يتلقى علوم الازهر على أنماطها المعروفة ، شاعرا بأن وراءها كمالا علميا لايجده فيما حوله

كان السيد الافغاني وحده ، قادرا على تخليص الشيخ محمد عبده من خموله الصوفي ، وتخليصه من الحيرة في التماس الكمال العلمي

هذا الرجل الكبير بمواهبه الفطرية ، الكبير بسعة علمه وحسن نظام فكره ، الكبير بمطامحه ، الكبير بنفسه العالية القوية المشتعلة حياة وعزما ، الكبير بتاريخه المملوء بالحوادث الجلى والآلام ، هو السيد جمال الدين الافغاني الذي صحبه الشيخ محمد عبده تلميذا وصديقا منذ سنة ١٢٨٨ الى سنة ١٢٩٦ هـ — ١٨٧١ — ١٨٧٩ م —

و بعد سنتين من صحبة الشيخ محمد عبده للسيد جمال الدين ، ظهر لنا ذلك الشاب المتصوف ، الذي كان ينطلق فى القول على وجل ، اذا سأله العامة عن شيء من أمر دينهم ، في تلك المجامع التي كان يقوده اليها خال أبيه الشيخ درويش ، مؤلفا جريئا يكتب في رسالة الواردات سنة ١٢٩٠ هـ — ١٨٧٣ م — من المذاهب الفلسفية والصوفية ، ماقد تكون بعض أوساطنا العلمية لم تستعد بعد لسماعه ، وقد مضى خمسون عاما

هذه الرسالة التي هي أول ماوصل الينا من آثار أستاذنا ، لاتخلو في أسلوبها من نفحة الادب العتيق ، أدب السجع والتكلف ، الذي كان عالقا بالمؤلف ، لقرب عهده به ، ولكنها في تأليفها ذات نظام حسن ، وطريقه في سوق البراهين معقولة ، هي رسالة صغيرة في العقائد على منزع يغلب تصوفه مافيه من فلسفة

وفي سنة ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م — الف شيخنا حاشيته على شرح الجلال الدواني للعقائد العضدية

وهذه الحاشية ، ترينا الشيخ محمد عبده في السادسة والعشرين من عمره ، محيطا بمذاهب المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة ، أحاطة فهم ونقد ؛ يكاد يجهر بآرائه في تلك الموضوعات الخطيرة ، ويكاد يكظم صوته الفتي القوي شبح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عصا الشيخ عليش، قائما على رأس مجاور، بينه و بين التقدم لامتحان العالمية سنتان

في هذه الحاشية توضيح للمذاهب في الالهيات والنبوات ومقارنة بينها ، ونقد متين .

جملة القول : ان الشيخ محمد عبده كان ما بين ١٢٩٠—١٢٩٢ (١٨٧٣ — ٨٧٥ و م) صوفيا متفلسفا

و يظهر ان السيد جمال الدين خلعه من التصوف بمعنى لدروشه، والانصراف للتحنث والرياضة ، الى معنى للتصوف جديد .

ويروى ان السيد الافغاني — يرحمه الله — كان يقول : « الفيلسوف إن لبس الخشن وأطال المسبحة ولزم المسجد فهو صوفي

« وان جلس في قهوة — متاتيا — وشرب الشيشة فهو فيلسوف »

ولعل الشيخ محمد عبده لما كتب حاشية العقائد كان ألم بقهوة متاتيا إلماما .

* * *

طور العمل والتصدي للاصلاح

لم تطبع رسالة الواردات الا بعد وفاة الاستاذ[1] وحاشية العقائد العضدية طبعت قبل وفاته بقليل . واول ما نشر على الناس من آثاره هو ما كتبه في جريدة الاهرام لبداية نشأتها سنة ١٢٩٣ هـ —١٨٧٦ م . وهي فصول على ما قد يكون في تحريرها من الضعف تهتف بما يجيش في نفس ذلك المجاور الصغير ، من كبار الآمال ، المنبعثة عن مذاهب في الاصلاح ، وتطلع الى النهوض ،

ومنذ ذلك العهد ، توجهت نفس الاستاذ الى الاصلاح ، بعد ان كانت منصرفة الى تلمس الحقائق ، والبحث العلمي

وقد كان ذلك — من غير شك — بتأثير السيد جمال الدين الافغاني وهدايته

شرع المجاور الشيخ محمد عبده يكتب في جريدة الاهرام فصولا متتابعة ، سماها المنزع ، مشتملة على أصول الدعوة الاصلاحية التي صرف حياته في سبيلها

وقد استرعت تلك الفصول نظر الناس ، الى ذلك الفتى الناهض الى السابعة

(١) طبعت في منشآت الامام التي هي الجزء الثاني من تاريخه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والعشرين من عمره ، نهضة المصلحين الكبار عاقلا جريئا

وصل صدى تلك المقالات الى اسماع الجامدين من الشيوخ ، والتقى فيها بحديث ملازمة كاتبها للسيد جمال الدين ، واشتغاله بالفلسفة ، وترجيحه لبعض مذاهب المعتزلة[1] ونهيه عن التقليد ، ودعوته الى الاشتغال بالعلوم الحديثة ، وتحبيذه لعلوم الفرنجة ، واطالة شعره أيضا .

دخل الشيخ محمد عبده الى مجلس الامتحان سنة ١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧ — وكل ذلك ينتظره في صدور أعضائه ، ماعدا الرجل المنصف الشيخ محمد المهدي العباسي ، شيخ الازهر لذلك العهد ، ورئيس لجنة الامتحان

ولولا قوة الشيخ محمد عبده في علمه وفي نفسه قوة باهرة ، وترفع الشيخ المهدي عن الظلم ، لقضى مجلس الامتحان المؤلف من كبار الشيوخ ، بأن ذلك المجاور المضطهد ، لا يستحق نجاحا .

نال الاستاذ شهادة العالمية من الدرجة الثانية ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فشعر لاول مرة ، بأنه انتصر على خصومه الجامدين ، أعداء الاصلاح ، برغم جاههم وكثرتهم ، [2] وزاده ذلك نشاطا ، فجمع كل مافي نفسه من قوة الشباب ، وقوة العلم ، وقوة الرغبة في الاصلاح ، ووجه جميع ذلك الى العمل في الازهر ، لاعتقاده أن صلاح الازهر صلاح للبلاد وأهلها ، وللمسلمين في أقطار الارض

أخذ يدرس كتب المنطق ، والكلام المشوب بالفلسفة في الجامع الازهر . ويدرس في داره لبعض المجاورين كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه . وكتاب التحفة الادبية في تاريخ تمدن الممالك الاوروبية . تأليف الوزير فرانسوا جيزو وتعريب الخواجه نعمة الله خوري

(١) اتهم الاستاذ بهذا من وشي به الى الشيخ عليش والصواب أنه رجح مذهب السلف

(٢) كان بعض الشيوخ قد تقاعسوا لا يدعنه ينال شهادة العالمية فعارضهم شيخ الازهر عندما اقترحوا ذلك وحلف أنه ما رأى مثله وأنه يستحق الدرجة الاولى فحلف بعضهم بالطلاق أنه لا يعطي الاولى فأبى الشيخ المهدي باعطائه الثانية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي أواخر سنة ١٢٩٥ هـ — ١٨٧٨ م — عين مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم ومدرسا للعلوم العربية في مدرسة الادارة والالسن الخديوية

وفي سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩) نفي من مصر بمساعي الانجليز السيد جمال الدين الافغاني . الذي كان عمله السياسي شجى في حلق مثل انجلترا . بمقدار ما كان تجديده لدرس الفلسفيات غيظا للجامدين من أهل الازهر . وعزل الشيخ محمد عبده من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن . وأمر بأن يقيم في قرية محلة نصر — لا يفارقها الى بلد آخر .

ويظهر أن رياض باشا كان خارج القطر عند حصول هذه الحادثة في أوائل حكم الخديوي توفيق باشا

ورياض هو الذي كان زين للسيد جمال الدين المقام في مصر . وأمده بالمعونة ليستعين به على تربية شباب مصلح .

واذا كان لوزير الكبير عجز عن رد ما فات من نفي السيد الافغاني . فما كان ليفوته أن ينتقم بتلاميذه . وما كان ليترك خليفة السيد جمال الدين منفيا في قرية من قرى مديرية البحيرة محرما عليه أن يخرج منها . فاستصدر له عفوا من الخديوي ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) وعينه محررا في الجريدة الرسمية . ثم جعله في آخر هذه السنة رئيسا لتحريرها

عند ذلك نهض الشيخ محمد عبده بحركة اصلاح ، هيأت له مساعدة رياض باشا وسائلها . واعانه عليها خيرة تلاميذ السيد جمال الدين ، الذين كانوا يشتغلون معه في تحرير الجريدة الرسمية

وقد انقطعت يومئذ صلة الاستاذ بالازهر . فلم يعد مما يريد أن يصلح طرق التعليم فيه . ويرشد أهله الى العلوم الجديدة . ولكنه أصبح صحافيا يحاول الاصلاح الاجتماعي والسياسي . على مبادىء الحرية والعدالة والشورى :

ألم الشيخ محمد عبده رئيس تحرير الجرنال الرسمي — الوقائع المصرية — في فصوله الكبيرة الفائدة ، القوية الروح ، بوجوه الاصلاح التي كانت تبعث عزيمته اليها . فدعا الى التعاون على الخير ، وحبذ فكرة الحرية ورفع المظالم عن الاهالي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعاب على الشعب كسله ، ونادى باصلاح التعليم والتربيـة في المدارس ، وحمل على الرشوة وأهلها ، وبين ن الحق للقانون لا للقوة ، وذم اسراف الاهالي وتمسكهم بظواهر المدنية مع الغفلة عن وسائل المدنية الصحيحة ، وعالج اصلاح منتدياتنا واصلاح بيوتنا ، وذكر رأيه في خطأ العقـلاء الذين يريدون الرقيَّ طفرة ووثبا . ثم تعرض الاستاذ لنوع من الاصلاح الديني شغف به في أدوار حياته الاصلاحية كلها : ذلك هو تطهير الاسلام من البدع التي شوهت شعائره وجنت عليه

وهذه المقالات تجمع مبادئه الوطنية ، ومذاهبه في الحرية ، وطريقه في الاصلاح . كان الشيخ وطنيا يرى « ان خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه »[1] على أنه نصير للمبادىء التي تدعو الى المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة والاخاء بين الناس ، وهو داع الى الحرية ، حرية العمل ، ورفع سوط القسوة غير القانونية ، بحيث لا يسخر أحد في عمل من الاعمال إلا فيما يعود بالمنفعة العامة على البلاد . أما القول والـكتابة ، فلم يكن الاستاذ ، فيما يظهر ، من انصار حريتهما الا بمقدار ، لذلك كان يلتمس سن القوانين للرقابة على المطبوعات ، بل هو قد سعى لذلك وافلح فيه ، وكان يرجع الى سلطانه أمر هذه المراقبة ، في عهد رياسته تحرير الجريدة الرسمية . ذلك بأنه كان يخشى انتشار الـكتب الضارة بالدين ، المشيعة للخرافات بين العامة ، ويخشى انتشار اللهجات السخيفة ، والموضوعات المؤذية للاخلاق

أما سبيل الاستاذ في الاصلاح ، فهي سبيل التدريج ، يريد أن يحفظ للامة عوائدها الـكلية ، المقررة في عقول أفرادها ، ثم يطلب بعض تحسينات فيها لا تبعد عنها بالمرة ، فاذا اعتادوها ، طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج ، حتى لا يمضي زمن طويل إلا وقد انخلعوا عن عاداتهم وافكارهم المنحطة ، الى ما هو أرقى من حيث لا يشعرون

١) المنار : للشيخ ما هو مشهور من المقالات البليغة في ان للمسلمين ليس لهم جنسية ولا وحدة الا في دينهم ولـكنه كان يرى ان الوحدة الوطنية لا تعارض الاسـلام . وتعليل الوحدة الوطنية بامتناع الخلاف والنزاع فيها منقوض بالوقائع وأظهرها في هذه الايام ما هو متواتر عن ارلندة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طريق الاستاذ في الاصلاح يرجع الى العناية بالتربية . ونشر العلم . وأول مبدأ يجب أن يكون أساسا لتحلية العقول بالمعلومات اللطيفة ، والنفوس بالصفات الكريمة ، هو التعاليم الدينية الصحيحة ، بعني ترغيب القلوب بما يرضي الخالق وارهابها مما يغضبه

أما الاصلاح الديني ، بتخليص الاسلام من شوائب الازمان والاجيال ، وردّه الى سذاجته الاولى ، ليصافح العلم والمدنية ، ويتسع لحرية العقل — تلك الدعوة التي كان استاذنا حامل لوائها — فلم تكن في عهد تحريره الجريدة الرسمية الا بتالم يتكامل نموه تأثر الشيخ محمد عبده بمبادىء استاذه السيد جمال الدين . ومع ذلك كان لمذاهبه الاصلاحية استقلال يجعل لها شخصية وحدها . ولقد كان حين توليه تحرير الجريدة الرسمية حديث عهد بصحبة أستاذه . حديث عهد بالتخرج على يديه ، وكانت له على هذا سبيل في الاصلاح ليست من كل وجه سبيل السيد جمال الدين

كان السيد مشتعل الحماس ، يريد أن يلهب النفوس ، فيؤجج نارها ، ثم يصوغ من ضعفها قوة ، ومن ذلها عزا ، كان يرى أن الثورات هي سبيل الاصلاح الاجتماعي والسياسي

أما شيخنا أيام تحرير الجريدة الرسمية فكان معلما مصلحا . يطلب الاناة في دفع الامم الى الرقي ، ليعلمها ويهذبها أولا ، ثم يسوقها برفق الى ما عانت هبت أعاصير الثورة العرابية ، واستاذنا رئيس لتحرير الجريدة الرسمية . له يد عاملة في حركة الافكار . ولم يكن الاستاذ ممن يدعون الى الاصلاح من طريق الثورة . ولكنه لما رأي الثورة قائمة لنصرة اغراض هي مبادئه ومباديء استاذه اتصل بها والقى في نارها حطبا .[1] وقد حوكم مع زعمائها . رحكم عليه بالنفي ثلاث سنين وثلاثة اشهر[2]

«١» المنار : الصواب أن الاستاذ كان خصما للثورة العرابية الى ان تصدى الانكليز لها فحينئذ نصرها (٢) انتهى ما اختزناه من خطبة الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الخرافات الى الحقيقة

٦

تابع لمقالة الطور الاول للاسلام — في الجزئين الثاني والرابع

(٣٨) الصفح عن الهفوات، واقالة العثرات، وغض النظر عن الزلات، كانت قاعدتهم المثلى في المعاملات ، قال (ص) « اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم الا الحدود »(١)

(٣٩) كانوا ينفرون من القيل والقال ، ويحتقرون الخصام والجدال ، لان النبي (ص) قال «من ساء خلقه عذب نفسه ، ومن كثر همه سقم بدنه، ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته ، وسقطت مروءته »(٢) . وكان الناس في تلك الايام السعيدة لا ينحرفون قيد شعرة عن أوامره الجليلة .

(٤٠) كانوا يرشدون الجاهلين ، ويمقتون الفاسقين ، ويصدقون صادرين مصادرين ، ويعدون هذا من الجهاد في الدين ، لقوله (ص) « الجهاد أربع : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في مواطن الصبر وشنآن الفاسق »(٣) فيظهر من هذا أن عمل الخير، واجتناب الشر، والثبات على الحق، لا يتم الا ببغض أهل الشر والفسق ،

(٤١) الاعتدال كان محور المعاملات، حتى في العبادات ، لانه جاء في الحديث « أيها الناس ! عليكم بالقصد ، عليكم بالقصد ، فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا »(٤)

(٤٢) لم يكن من سيرة السلف الصالح في أعمالهم ولا أقوالهم ما يبعث ظنا الجاهل او شبهة لعاقل على أن في القرآن وأحكامه حرجا او عسرا لا يدخل

---

(١) رواه احمد والبخاري في الادب وأبو داود عن عائشة وحسنوه (٢) رواه ابن السني وأبونعيم في الطب عن أبي هريرة (٣) أبو نعيم في حلية الاولياء عن علي وحسنوه (٤) ابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان من حديث جابر بسند صحيح وفسروا « لا يمل حتى تملوا » في هذا الحديث بغيره بأنه تعالى لا يترك اثابتكم حتى تتركوا العمل الصالح وهو من باب المشاكلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في وسع المهتدي به، بل كانت اعمالهم واقوالهم متجهة نحو افهام الناس أن القرآن الكريم كتاب انزل لافهام الناس الحقائق وتأمين سعادتهم من أقصر الطرق وأسهلها. وقد جاء في الكتاب القديم (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * الا تذكرة لمن يخشى).

(٤٣) من يتأمل في أعمالهم يجد غايتها تزكية النفس بالفضائل ومكارم الاخلاق وسعادة الامة — لا مجرد التلبس بأعمالها البدنية في صلاة المصلين، وصيام الصائمين، ويرون أن المصرين على اتيان المنكرات والفواحش وسائر الجرائم التي تنافي المقاصد الاسلامية، الدينية والاجتماعية، لم ينتفعوا من صلاتهم ولا من صيامهم. فقد قال النبي (ص) «رب قائم حظه من قيامه السهر ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش»(١)

(٤٤) كانوا يتحامون الغلو في الدين لان الله تعالى حذر منه بقوله (لا تغلوا في دينكم) والنبي (ص) نهى عنه بقوله «ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق»(٢)

(٤٥) كانوا يرجحون السعي للربح والكسب الحلال لينفع الرجل عياله وأمته على خطة أولئك الكسالى الذين ينكمشون في زوايا المساجد بدعوى العبادة. لانه (ص) قال «رب طاعم شاكر أعظم أجراً من صابر صائم»(٣) ليتأمل هذا الحديث وأمثاله أبناء قومنا لعلهم يدركون معنى الدين الذي ظل الماضر بناه الضربات المؤلمات من حيث لا نشعر. ونحن نظن بأننا ننصره ونمتثل أوامره.

(٤٦) التجارة مع الصدق والامانة كانت في نظرهم من اسمى المواقع فقد جاء في الحديث «التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء»(٤) فهل من صراحة أقوى من هذه الصراحة التي تفقأ عين كل من يزعم ان الدين الاسلامي لا يأمر بالسعي وتكذب القائلين بأن الدنيا ليست للمسلمين؟ وهل

(١) الطبراني من حديث ابن عمر وأحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند صحيح وثم أحاديث أصرح منه في المسألة (٢) رواه أحمد من حديث أنس بسند صحيح (٣) رواه القضاعي عن أبي هريرة بسند ضعيف وهناك شواهد صحيحة أصرح منه (٤) الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري بسند حسن وفي معناه حديث صحيح عن ابن عمر «قد اتجر النبي (ص) وكان أبو بكر وأكثر المهاجرين من الصحابة تجاراً»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يوجد أفصح من هذا الهدي النبوي الكريم المكذب لزعم الزاعمين أن الدنيا والآخرة لا تجتمعان في قلب مؤمن ؟ ان هؤلاء الكسالى الذين يستترون بالعجز والبله والعته بأمثال هذه الاكاذيب على الدين لاضر على الاسلام من أعدائه. وحبذا لو ان الجمعيات كتبت هذا الحديث الشريف على ألواح تضعها على مفترقات الطرق التي يكثر مرور الناس فيها ليعلم الضالون والمضلون، ان الدين الحنيف ليس كما يعرفون — لكن اولئك الكسالى وبعض المتعممين الذين عشش ميكروب الكسل في أدمغتهم يكتمون أمثال هذه الاحاديث عن العوام ويحببون اليهم الفقر والذلة والمسكنة ، يكذبون على الله ورسوله ودينه بتبغيض العوام — جنود الاسلام وساعده المفتول — في الدنيا ، يعلمونهم الحسرة للموت . وكأني بهم يمدون بهذه الاعمال خطوط الحديد لتسير عليها قطر اهل الملل الاخرى في بلادهم . ولا يشك عاقل في ان هؤلاء أضر بالاسلام والمسلمين مما لدى أعدائهم من جيوش وطيارات ودبابات وأساطيل وذهب وحديد فأين من يسكت هؤلاء ؟ وأين شجعان العلماء ؟

ايه أيها الغافلون المغفلون! الدنيا لنا. وهكذا أمر ديننا ، الذي جعل التاجر في زمرة الانبياء [1] كفى تضليلا وتمويها . ان كنتم تحبون الموت ولا تريدون الدنيا فدعوها لغيركم من المسلمين أما خطتكم فغايتها القاء أزمة الدنيا لغير المسلمين لو كنتم تفقهون نتائج ما تعملون .

أيها الشبان المحمديون . رفع نبينا منزلة التاجر الى مجاورة الانبياء . فتأملوا قدر ترغيبه في الاتجار والعمل للدنيا لتقوية الملة والامة

أيها العقلاء ! ان تضييع الدنيا هو تضييع للآخرة . هل ضاع دين مسلمي الاندلس قبل ضياع دنياهم أي حكومتهم أم بعده ؟ تأملوا واحكموا .

٤٧) كانوا لا يتمنون الموت كما يفعل بعض أهل هذا الزمان العجز ،

---

(١) ان في الكتاب والسنة نصوصا في كون الاصل في سيادة الدنيا وطيباتها أن تكون للمسلمين أصح وأصرح من هذا الحديث في التجارة وحسبك منها قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة خالصة يوم القيامة) وطالما نوهنا بهذا في المنار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لانه (ص) نهى عن ذلك اذ قال « لا تتمنوا الموت » (١)

(٤٨) كان أقبح الاشياء عند المسلمين غض النظر عن عواقب حفظ الصحة والابتلاء بكثرة الاكل ثم كثرة النوم المفضية الى الاستكانة والكسل ، وضعف اليقين والميل الى التقليد لقوله (ص) « اخشى ما أخشيت على أمتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين » (٢)

(٤٩) اضلال الناس وسوقهم الى الطرق المظلمة كان من اقبح الاعمال ، سواء كان هذا الاضلال في السياسة أو الدين أو الاجتماع وقد جاء في الحديث « أيما راع غش رعيته فهو في النار » (٣)

(٥٠) الطاعة اذ قال « انما الطاعة في المعروف » (٤) لان نصيب كل أمة تطيع رؤساءها الطاعة عمياء وتصدق كل ما تسمع الانقراض ، أي محو اسمها من خريطة العالم . أواه ! متى ينتبه المسلمون !

(٥١) كان الواحد دائما طموحا بنظره الى العلماء للاستفادة ممن كان فوقه ، لانه (ص) قال « جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء » (٥) أين هذا الامر من القناعة التي يتشدقون بها بدون أن يفهموا معناها ؟ ان الدين أمر بالاكثار دائما من كل حسن

(٥٢) كانوا ينظرون دائما الى غايات الامور ومقاصدها ، ولا يثنيهم عنها صعوبة وسائلها وبعد طرقها ، ولا سيما العلم لقوله (ص) « اطلبوا العلم ولو بالصين » (٦) فلو صح ان تصد الوسيلة غير الشريفة عن المقصد الشريف لما أمر بأخذ العلم من مشركي الصين ، وهذا الحديث الشريف من جملة اسباب احتقارهم للصعوبات في سبيل نيل المرام من الكمال ،

(٥٣) للتعليم مزية كبرى في دين محمد (ص) لانه قال « أفضل الصدقة أن

---

(١) رواه ابن ماجه من حديث خباب بسند صحيح وياليت شعري أين هؤلاء الذين ينكرون عليهم الكتب تمني الموت ؟ ما أراه الا واهما (٢) الدارقطني في الافراد عن جابر (٣) ابن عساكر عن معقل بن يسار بسند حسن (٤) رواه البخاري وغيره (٥) الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي جحيفة بسند صحيح (٦) ابن عبد البر من حديث أنس وفيه زيادة « فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ان الملائكة لتضع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم » [١] لان تربية الدماغ التربية الصالحة ترقي شؤون الانسان المعنوية

(٥٤) كان المسلمون يحترمون أنفسهم فلا يعملون الا بما تطمئن اليه قلوبهم وترتاح اليه ضمائرهم ، لانه (ص) قال «اذا حاك نفسك شيء فدعه» [٢] فكانوا يعلمون دينهم ومصالحهم بالاقناع فلا يساقون اليها ولا يكرهون عليها

(٥٥) كانوا يعتقدون أن اصدق مفت للانسان وجدانه لانه (ص) قال «استفت نفسك وان افتاك المفتون» [٣] وبما أن صحة حكم الوجدان متوقفة على كون ذلك الوجدان نقي وطهر بصابون التربية وماء العلم وتحلى بحلى الاخلاق قال (ص) « الاسلام حسن الخلق »

(٥٦) كان المسلمون يتجنبون كل عمل بالسر ان كان يكرهه الناس بالعلن لانه (ص) قال (ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك خلوة» [٤]

(٥٧) بما أن صحة افتاء النفس تتوقف على تهذيب العقل ، وصحة العقل منوطة بسلامة الجسد — كانوا يعتنون كل الاعتناء بقواعد حفظ الصحة ؛ لان من وصايا النبي (ص) بها قوله «تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان» [٥]

(٥٨) نظافة اليدين والفم كانت من أهم اعمالهم اليومية . لانه (ص) قال « من بات وفي يده غمر فأن صابه شيء فلا يلومن الا نفسه » [٦]

أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » (١) ابن ماجه من حديث أبي هريرة

(٢) حمد وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة (٣) رواه البخاري في التاريخ عن وابصة بسند حسن . وحديث الاسلام « حسن الخلق » في مسند الفردوس للديلمي

« ٤ » لفظ الحديث في الجامع الصغير الذي نقل عنه الكاتب «اذا خلوت » بدل خلوة رواه ابن حبان والترمذي عن ابن شريك بسند صحيح

« ٥ » تتمته « والايمان مع صاحبه في الجنة » رواه الطبراني في الاوسط عن ابن مسعود . عظم عليه السلام أمر تنظيف الاسنان بهذا الحديث والناس يتهاونون بها حتى يأكلها السوس فيقاسون آلامها ثم يحرمون منها فيسوء هضمهم ويحرمون لذة الطعام او يضطرون الى وضع اسنان صناعية غالية الثمن وهي دونها

« ٦ » البخاري في التاريخ والترمذي والحاكم عن ابي هريرة وحسنوه والقصر فيه بالتحريك وهو ريح اللحم فهو حث على تنظيف الايدي بعد الطعام ولا سيما الدسم كاللحم والدهن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن الذين يعترضون على قواعد حفظ الصحة ويقولون : المرض من الله ولا دخل للعبد فيه ؛ أين هم ؟ أين هم ؟

(٥٩) كانوا لا يخرجون من بيوتهم الا بألبسة لطيفة ومنشطة لانه (ص) هذبهم بقوله « أصلحوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس » وما قول الذين يخرجون الى السوق بلاجبة وبلاجوارب أو بلا طربوش ؟ إن الاوروبي يصور أمثال هؤلاء ويضع صورهم في معرض الصور المتحركة ليقول لقومه ها هم أولاء المسلمون ! ! ومن لي بمن يفهم الاروبيين أن هؤلاء مسلمون اسما لا فعلا .

(٦٠) لم تكن النظافة التي يأمر بها الاسلام خاصة بالاجسام بل كانت تشمل باب البيت وساحة الدار أيضا . جاء في الحديث أن « طيبوا ساحاتكم » (١)

(٦١) ومن جملة أوامره (ص) ان تكون مدن المسلمين مزينة بالابنية العالية وبالمساجد العامرة لانه قال « ابنوا مساجدكم جماوا بنوا مدائنكم مشرفة » (٢)

ايه ! يا أيها الذين يسكنون تحت الارض ! والذين يدعون غيرهم لهذا العمل ! ما قولكم بهذا الحديث ؟

(٦٢) نظافة الطرق وتوسيعها مما كان يوصي به (ص) كقوله « اعزل الاذي عن طريق المسلمين » (٣)

ان الانسان عند ما يرى هذه الاحاديث النبوية ، المبنية على أدق الاسس الاجتماعية يكاد يذوب ألما عند ما يرى مدن المسلمين اليوم وطرقهم وبيوتهم

(٦٣) شدد النبي (ص) في تنظيف الطرقات حتى قال « من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم » (٤)

ومع كل هذه الصراحة فان اكثر طرقات المسلمين كأنها مستودع

(١) تتمته « فان انتن الساحات ساحات اليهود » رواه الطبراني في الاوسط عن سعد وحسنوه . ومن العجيب ان هذا الامر لا يزال معروفا في بيوت فقراء اليهود الذين لم يتربوا تربية افرنجية « ٢ » ابن ابي شيبة عن ابن عباس « ٣ » مسلم في صحيحه وابن ماجه عن ابي برزة « ٤ » الطبراني في الكبير عن حذيفة ابن أسيد وحسنوه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقاذورات البيوت التي يلقونها على الطريق ، كأن ذلك أمر عادي ، فهل لنا بعد هذه المخالفات لأوامر نبينا أن ندعي الاسلام ؟ قال سيدنا عيسى عليه السلام لأمته : من ضربك على خدك الايمن فأدر له الخد الايسر ، واعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ومع ذلك ترى كل عيسوي يبذل جهده لان يكون هو القيصر ، ولان يعمر ملكه وملك غيره ، بينما نرى سيدنا محمداً (ص) أمر بما تقدم آنفا ترى المسلمين ينكمشون ولا يتوسعون على سطح الارض ، بيوتهم صغيرة ، بلادهم غير منتظمة ، يعطون ما لقيصر لقيصر ويضيفون على ذلك مالهم الخاص أيضا ويعطونه لقيصر ، يفتخرون بالذل. عجبا ! هل من علاقة بين أوامر نبي المسلمين وحالهم الحاضر ؟ لا ، ثم لا . ذكرنا آنفاً ستين حديثاً ونيفا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، نرى مدلولها عند أمة عيسى فعلا ولفظها في كتبنا فقط ، أأقول: إنهم مسلمون فعلا ونحن مسلمون اسماً ؟ ؟

لنقايس حال أجدادنا بحالنا ، لعلنا نعتبر أو نخجل ان نكون اولاد أولئك الليوث ، لاننا اصبحنا عاراً على الاسلامية الحقيقية

(٦٤) قال نبينا (ص) «ثلاثة لا يحبهم ربك عز وجل: رجل نزل بيتاً خرباً ورجل نزل على طريق السبيل ورجل ارسل دابته ثم جعل يدعو الله أن يحبسها» (١)

فما قول ساداتنا الذين يظنون ان الدعاء وحده سبب الانتصار في الحروب العسكرية والسياسية والاقتصادية !

(٦٥) كانوا يعملون ثم يتوكلون ، لانه (ص) قال « قيد وتوكل » (٢) اما اليوم فبحجة التوكل ترى المسلمين فرشوا فراش الراحة وناموا ينتظرون أن يعمل الناس لهم ليأكلوا ، وان احتاجوا شيئا طفقوا يدعون ، ولا قيمة للعمل عندهم . وقد فاتهم أنه (ص) يوم الخندق حمل المجرفة بيده الشريفة واشتغل مع العملة بحفر الخندق حول المدينة لاجل دفع العدو . فعمله هذا دليل على ان للمجرفة وللخندق في الحروب تأثيرا لا يغني عنه الدعاء ، ولو كان للدعاء ذلك التأثير كما يزعم المسلمون اسما لا كتفى (ص) بالدعاء ولما اتعب نفسه

(١) الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن عائذ الثمالي بسند حسن (٢) البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو بسند صحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بحمل المحرفة وحفر الخندق ؟ ولكن اين من يدقق في التاريخ ؟ واين من اذا درس استطاع ان يستنتج ؟

(٦٦) عد النبي (ص) الذين يشتغلون لاعاشة عيالهم بالصناعات او التجارة او الزراعة افضل الامة بقوله « احب العباد الى الله تعالى انفعهم لعياله » [١]

(٦٧) كانوا يتبايعون ويتقاضون الحقوق بكل بشاشة وسماحة . وكلام حلو ، ليصدق عليهم قوله (ص) « افضل المؤمنين رجل سمح البيع ، سمح الشراء سمح القضاء » [٢]

ونحن اليوم بين حالتين — اما بائع وجد قوت يومه فبغى وطغى وعامل لمشتري معاملة الآمر المستبد ، واما طماع كذوب محتال مداهن ، فأين نحن من السماحة التي أمرنا بها سيدنا ؟

(٦٨) كانوا يعدون التضييق على العيال من أشد الامور كراهة وشرها معاملة لانه (ص) قال « شر الناس المضيق في أهله » [٣]

واليوم نرى بعض من يدعي الاسلامية يعد الكسل تدينا والفقر وضيق المعيشة سببا للفوز والنجاة ، والاشتغال بالكسب مانعا للعبادة ، فيالله ما أبعد هؤلاء عن دين محمد (ص) ؟

(٦٩) السياحة في أقطار الارض كانت أمرا محبوبا لانها توسع دائرة المعارف وتزيد الثروة وتقوي البنية وتعلم الانسان المقايسة ، لذلك أمر (ص) « ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله » [٤]

« السائحون هم الصائمون » [٥] و « وسافروا تصحوا وترزقوا » [٥] على هذه الاسس بنيت المدنية الاسلامية ، أما مسلمو اليوم فهم منكمشون في بيوتهم حتى لا يعرفون أطراف مدينتهم فهل المسلم من يخالف أوامر نبي الاسلام ؟

المترجم حسني عبد الهادي

«١» عبدالله بن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن البصري مرسلا والنفع فيه اعم مما ذكره المؤلف فكل من الدليل والمدلول ضعيف

«٢» رواه الطبراني في الكبير عن ابي سعيد «٣» رواه في الاوسط عن ابي امامة وهو حسن « ٤ » ابو داود والحاكم والبيهقي عنه « ٥ » الحاكم عن ابي هريرة وصححوه «٥» رواه كثيرون بألفاظ متقاربة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مدنية القوانين

﴿ وسعي المتفرنجين لنبذ بقية الشريعة وهدم الدين ﴾

(٢)

السعي لالغاء المحاكم الشرعية

(تمهيد) الافرنج الطامعون في استعباد المسلمين. وأعوانهم من المتفرنجين قد يشتركان في عمل واحد ونيتهما فيه مختلفة اختلاف التضاد — فكلاهما يحارب الشريعة الاسلامية ويحاول ان القضاء عليها، ومنع الحكم بها والتقاضي الى رجالها. فنية الفريق الاول وغرضه من ذلك حل رابطة من أقوى روابط هذه لامة وازاله فصل من أقوى الفصول المنطقية المقومة لهذه الملة والفاصلة بينها و بين الملل الاخرى لاجل اضعافها وتمهيد السبيل لادغامها في غيرها أو جعلها غذاء له . ونية الفريق الآخر اما ارضاء الفريق الاول لتحصيل قوتهم وغير ذلك بأن يكون اقتنع أن البلاد صارت له ولا يرتقي أحد في حكومتها الا اذا واناه ووافقه في سياستها وادارتها — وإما مساعدته على عمل يظن انه يخدم وطنه به لاقتناعه بشبهاته التي يتوسل بها اليه كتوحيد القضاء أو الفصل بين الحكومة والدين والاقتصاد في نفقات المحاكم أو جمود هذه الشريعة وخلوها من المرونة التي تليق بالقرن العشرين — وإما إرضاء الاقليات غير المسلمة ولاسيما النصارى وإما كسر قيد الدين والخروج من حكم سلطانه تقليد الملاحدة الافرنج أو لانه يحول دون التمتع باللذات أو لاعتقادهم أن الامة والحكومة لا يمكن أن ترتقي مع التزام أحكام الشرع وان القوانين الافرنجية خير لها منه : —

فالمتفرنجون ليسوا على رأي واحد ولا نية واحدة في حربهم للشريعة ولكن أكثرهم يتبع هوى نفسه ومنفعة شخصه ، وأقلهم يقصد . خدمة أمته ووطنه ، ولكنه حفظ شيئا وغابت عنه أشياء . وسيأتي بيان ذلك

على أثر هجرتي الى هذه البلاد من زهاء ربع قرن خبرني الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يوما وهو يتنفس الصعداء أن المستشار القضائي لوزارة الحقانية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(مستر سكوت) اقترح على الحكومه الغاء المحاكم الشرعية وجعل التقاضي في الاحوال الشخصية من اختصاص المحاكم الاهلية بناء ذلك على ان المحاكم الشرعية مختلة النظام قد كثرت شكوى الناس منها ، ومطالبة الحكومة باصلاحها ، وان قضاة المحاكم الاهلية المتخرجون في مدرسة الحقوق الخديوية قد تعلموا فيها أحكام الاحوال الشخصية فيمكن أن يجعل في هذه المحاكم جلسات للقضايا الشخصية خاصة كما أن للقضايا المدنية جلسات خاصة وللقضايا الجنائية كذلك ، وبذلك يتوحد القضاء وينتظم ، ويتوفر للحكومة المال الكثير الذي تنفقه على المحاكم الشرعية المختلة لمعتلة

سألت الاستاذ هل المحاكم الشرعية مختلة النظام معتلة الاحكام كما يزعم المستشار الانكليزي أم دعواه هذه كما نعهد من دعاوي السياسة التي تجعل الحق باطلا والباطل حقا: قال ان هذه الدعوى « كلمة حق أريد بها باطل » فالمحاكم مختلة وفيها عيوب كثيرة كما أن في غيرها من مصالح الحكومة خللا وعيوبا ، والباعث الحقيقي على هذا الاقتراح إزالة أهم مابقي للمسلمين في هذه الحكومة من الحقوق أو المشخصات المالية ، ومن عجيب أمر هؤلاء الشيوخ . . . شيوخ لازهر — أن هذا الاقتراح لم يستثر غيرتهم ولم يبعثهم على ما يجب من الاجماع على انكاره والاحتجاج عليه وهو يمس رزقهم وجاههم . . . وقد تعبت في اقناع شيخ الجامع بتأليف وفد من كبار العلماء للاحتجاج عليه مع بذل جهدي في مقاومته ، ومحاولة اقناع المستشار بضرره وسوء مغبته ، وقلت للشيخ لا يكفي أن أسعى وحدي لابطال هذا وأنا من رجال القضاء الاهلي وأنتم ساكتون . . . ولكن الخديو اهتم به يومئذ وكذلك قاضي مصر التركي لان النفوذ في المحاكم الشرعية كان لهما وحدهما وابطال هذا النفوذ كان من المقاصد أيضا

ولما لم يمكن قبول هذا المشروع اخترعت وزارة الحقانية وسيلة أخرى لما كانت تدعيه من الاهتمام باصلاح المحاكم الشرعية اقترحها بطرس غالي باشا فقررت أن يبدأ بتعيين قاضيين من مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية يحضران الدعاوي المهمة في المحكمة الشرعية الكبرى بل العليا ، فقوبل هذا المشروع بالسخط العام من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمين واندفع الكتاب ينشرون المقالات الضافية في جريدة المؤيد في انتقاده ومنهم بعض الازهريين وكان الشيخ علي يوسف رحمه الله جولة وأي جولة في هذا الميدان، وقد ساعدته على ذلك ببعض المقالات التي لم أوقعها باسمي الصريح ولا بحرفي (م. ر) كما كنت أوقع أكثر ما أكتب في المؤيد ثم فشلت الحكومة في هذا الاقتراح برفض مجلس شورى القوانين له مستندا الى فتوى شرعية صدرت من قاضي القضاة ومفتي الديار المصرية شيخ الجامع الازهر في ذلك العهد (وهو الشيخ حسونه النواوي) وكان رأي الاستاذ الامام في هذا المشروع ان الغرض الخفي منه للانكليز وأعوانهم أن يتعود المسلمون حكم لابسي الزي الافرنجي في القضايا الشرعية فيكون ممهداً للعودة الى المشروع الاول .

هذه النازلة حملتنا يومئذ على كتابة مقال في جزء المنار الذي صدر في أواخر ذي الحجة سنة ١٣١٦ (عنوانه التعليم القضائي) اقترحنا فيه على شيخ الجامع الازهر ومجلس ادارته إنشاء قسم في الازهر يعلم الشريعة تعليما قضائيا عمليا يعدون فيه خريجيه لمنصب القضاء الشرعي، ومما اقترحناه فيه أن تؤلف من طلابه هيئة للمحاكمات كهيئة المحكمة ... وبينا فيه عيوب كتب الفقه التي تدرس في الازهر وبحثنا في تطبيق الاحكام على حاجات الناس في كل عصر وبينا فيه تقصير العلماء في هذا وذاك واضطرارا لامراء والحكام الى مجاراة العصر في تطوراته العامة ، مع ما يجب على العلماء في ذلك

وعلى إثر هذه النازلة عزل الخديو الشيخ حسونه من مشيخة الازهر وإفتاء الديار المصرية ملجأ لا مختارا وولى الاستاذ الامام منصب الافتاء وتوسل اليه باكرم أصدقائه ليقبله فقبل، وكلفته الحكومة تفتيش المحاكم الشرعية ووضع تقرير فيما يراه من وسائل اصلاحها ، فأجمعت الامة على استحسان ذلك كما نوهت به الجرائد وقد قام رحمه الله تعالى بالامر خير قيام، ووضع تقريره الذي سارت بذكره الركبان، فشخص فيه الداء ووصف الدواء. ولكن الحكومة لم تنفذه حق التنفيذ، وكان مما بينه فيه من خلل هذه المحاكم ما يعود الذنب فيه على الحكومة وحدها. وقد نشرناه في المجلد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثاني من المنار ثم في كتاب على حدته ، ووضعنا له مقدمة بينا فيها الاصول التي يدور عليها الاصلاح بالدليل الواضح . ولو قدر علماء الازهر ذلك التقرير قدره وعملوا بما أرشدهم اليه لضعفت أو دحضت حجة الطاعنين في أحكام الشريعة الذين يطلبون نسخها بالقوانين الوضعية . على ان هذه المحاكم قد انتظم سيرها بعض الانتظام منذ ذلك العهد على تقصير العلماء والحكومة جميعا في تنفيذ ما اقترح من الاصلاح فيها ولكن تعليم الفقه في الازهر بقي مختلا ، فوضع الاستاذ الامام مشروع مدرسة القضاء الشرعي للاستغناء بها عنه

قانون الاحوال الشخصية

ثم ان الحكومة المصرية قد جاءت في عهد الحماية البريطانية بمشروع جديد وهو وضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة ، وألفت لذلك لجنة برأسها وزير الحقانية ومن أعضائها مفتي الديار المصرية السابق (الشيخ محمد بخيت) و بعض المدرسين في مدرستي القضاء الشرعي والحقوق، على أن تستمد مواد هذا القانون من كتاب قدري باشا المشهور مع أخذ بعض مواده المناسبة لمصلحة هذا العصر من فقه المذاهب الاربعة المشهورة، وأن لا تتقيد بمذهب الحنفية في كل حكم وان اتخذته أصلا، لان ارتباط الحكومة بالدولة العثمانية التي قيدت القضاء بهذا المذهب قد زال

وهذا الاطلاق ركن من أركان الاصلاح الذي طالما فكر فيه وتمناه عقلاء العلماء وغيرهم من طلاب الاصلاح وهو مما اشتمل عليه تقرير الاستاذ الامام في اصلاح المحاكم الشرعية، وبينا في مقدمة طبعه مستنده من أقوال الفقهاء . ولكن هذا الشكل لتنفيذه منتقد من وجوه كنت قد بينتها في مقال طويل لم يمكن نشره في أيام ظهور المشروع ، وقد كان وزير الحقانية أرسل الي الجزء الاول الذي تم منه لاجل بيان رأيي فيه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين فانتقده بعضهم ولم أكتب للوزير فيه شيئا لانني لست مقرا له وقد كاشفته يومئذ بذلك . وابداء الرأي في مواده يتضمن اقرارا بأصله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم انني بينت أهم ما انتقدته على جعل الاحكام الشرعية قانونا في المقالة الثانية من المقالات التي عنوانها (المتفرنجون والاصلاح الاسلامي) – وسيأتي بيان سببها وموضوعها — وهو جعل الاحكام الشرعية قانونا ، فان القانون اذا أطلق في هذا المقام يختص معناه بما يقابل الشرع الالهي من الاحكام ، وما يترتب على ذلك من توقف الحكم به على اقرار مجلس الوزراء له وصدور أمر الحاكم العام بتنفيذه وكونه تشريعا من هذه الحكومة الواقعة تحت سيادة غير اسلامية ، وكون المنفذ له وزيرا من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلما ، وكون القضاة يحكمون بما يفهمون من نصوصه وان لم تدل لضعفها وركاكتها على ما قصدته اللجنة ، وكونه سيشرح على أنه قانون فلا يتقيد الشارحون له بما أخذ أحكامه من الشرع وربما لا يعرفونها ، وقد يفضي ذلك الى مخالفة نصوص الشارع واجماع الامة . وكونه سيدمج بعد ذلك في القانون المدني ونزيل منه كل صبغة وكل صيغة تدل على استمداده من الشرع الاسلامي كما صرح بذلك بعض المجاهرين بالالحاد من هؤلاء المتفرنجين

وجملة القول انني رأيت هذا الوضع أدنى الى إزالة ما بقي للمسلمين من المقومات والمشخصات في هذه الحكومة الاسلامية بكل معنى تسمى به حكومة اسلامية أو مسيحية وزيادة . ولكنني لم أسمع ولم أقرأ لاحد من علماء الازهر كلمة قيلت ولا كتبت في إنكاره ، فهل كان سبب ذلك أنهم لا يرون مانعا من جعل أحكام الشرع في مثل النكاح والطلاق قانونا وهي من قبيل العبادات في انها يدان بها الله تعالى بما أحل وحرم في أغلظ ما نزلت فيه من النصوص من الحقوق البشرية من استحلال الابضاع وثبوت الانساب وتكوين بناء البيوت (العائلات) ان كان هذا سبب اقرارهم لهذا القانون فقد قربت المسافة بينهم وبين غلاة المتفرنجين في ازالة كل صبغة أو مسحة اسلامية من الحكومة لان أكثر الاحكام المدنية وأحكام العقوبات والسياسة في الفقه من اجتهاد العلماء التي لم يرد فيها نص في القرآن ولا سنة من قضاء الرسول (ص) أو فتاواه والمدار فيها على حفظ المصالح ودرء المفاسد وإقامة العدل لا على التعبد كما بينا بعد

وقد كنت راجعت في المسألة الاستاذ الشيخ محمد بخيت وهو أكبر الفقهاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقاما في اللجنة ورغبت اليه أن يعترض على تسمية ما يجمعونه من هذه الاحكام قانونا ويقترح تسميتها (المجلة الشرعية في الاحكام الشخصية) فقال وأي مانع يمنع من تسميتها قانونا؟ والقانون هو القاعدة الكلية المنطبقة على جزئياتها وهو يصدق على هذه الاحكام؟ قلت هذا عرف ذكروه في تفسير قول من عرّف المنطق بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر ، وهو في عرف أهل الموسيقى اسم لآلة من آلات الطرب ، ولكنه اذا أطلق في عرف الحقوق والحكومات ينصرف الى مايضعه البشر من الاحكام التي تجري عليها الحكومة ويكون مقابلا للشريعة التي هي وضع إلهيّ لا بشري، حتى إن مايستنبطه البشر بآرائهم الاجتهادية من هذه الاحكام ينسبونه الى الوضع الالهي لان الاصل في الصحيح منه أن يكون راجعاً الى نص من الكتاب أو السنة (وان كان الكثير منها ليس كذلك بل بعضها مخالف للنصوص) وذكرت له بعض ما ظهر لي من لوازم هذه التسمية وظننت انه سيفعل شيئا ولم يفعل

ومن نوادر الاتفاق أن حكومة الترك الاتحادية قد فعلت في أثناء الحرب الاخيرة على انهما كما فيها وجعلها أكبر همها نحواً مما شرعت فيه الحكومة المصرية ولكن توسعوا في مخالفة مذهب الحنفية مالم يتوسع المصريون على انهم هم حماته ومقيدو القضاء به، ولولاهم لما انتشر في مصر ، وذلك ان الاتحاديين أجرأ من تولى زمام الاحكام في بلاد اسلامية على التغيير والتبديل بغير مبالاة بالمخالفين ، وسيأتي البحث فيما وضعوه وأصدروا به ارادة سلطانية

اقترص المتفرنجون اقدام الحكومة على وضع هذا المشروع فاقترح بعضهم على وزير الحقانية أن يدمج فيه ابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق ، وحرية المتعاقدين ـ الرجل والمرأة ـ في عقد النكاح ، وتساويهما فيما يلزم العقد ، وجعل العقدين رسميين ، بل صرح بعضهم بوجوب عدم تناقض أحكام النكاح مع الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، أي المتضمنة لاباحة الزنا !

فظهر لنا مما قرأنا لهم وسمعنا منهم وعنهم أنهم يعدون هذا المشروع أقرب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوسائل الى نبذ الشريعة الاسلامية بجملتها، لا الى الغاء المحاكم الشرعية وما يلزمه من القضاء على المعاهد الدينية فقط ، وهذا أكبر مما انتقدناه منه بادي الرأي

دعوة المتفرنجين الى هدم أصول الشريعة كلها

تهوّك أحد وكلاء النيابة من رجال القضاء الاهلي فكتب رسالة في هذا المشروع دعا فيها الى جعل هذا القانون مطابقا لآراء من يسمون أنفسهم الفئة الراقية أو المتنورة في البلاد — وهم هؤلاء المتفرنجون ، اذ لا يكون الاصلاح عندهم الا بذلك — ولما منه خرج فيه عن موضوع الاصلاح الخاص بالاحكام الزوجية الى القول بهدم أصول الشريعة الاربعة المشهورة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . فأباح باسم الاسلام عدم التقيد بنصوص القرآن في الاحكام ، ولكنه سمح بأن يراعى في محرماته مرماها والغرض منها، وفي واجباته الحكمة المقصودة بها ، وأما ما جوّزه وأحله، فلكل حاكم عنده أن يحرمه. وأما السنة فكل ما ثبت فيها من حكام الرسول صلى الله عليه وسلم وقضاياه ومن حلال وحرام فلا يجب اتباع شيء منه على من بعده ، خلافا لقوله تعالى (فاتبعوه لعلكم تفلحون) ! وانما يجب على المسلمين عنده أن يتبعوا في كل زمان ومكان كل من يتولى مر حكومتهم فيما يسنه لهم ، يحله ويحرمه عليهم ، وان خالف صريح سنة نبيهم ، ورسول ربهم اليهم، مخالفة صريحة ، وكذا ان خالف نصوص القرآن فيما تدل عليه عباراتها ، اذ لا يجب عليهم عنده الا مراعاة ما يفهمون من حكمتها ومغزاها ، فاذا أمكن مراعاة هذه الحكمة وموافقة هذا المغزى من طريق آخر غير اتباع منطوق الآيات فلا بأس أو كما قال « فلا حرج في أن نصل الى الغرض المقصود من أفيد الطرق وأخصرها» ومثل له باغناء جعل العقد رسميا عن الاشهاد على عقد الزواج ، وباغناء مرور أكثر مدة الحمل على الطلاق عن العدة المنصوصة ! أي ومثل هذا بالاولى ما اذا علمنا بالاطلاع على باطن الرحم بأشعة (رونتجن) أنه لا حمل فيه ، فحينئذ نبيح للمرأة أن تتزوج في اليوم الذي تطلق فيه ، والمطلق أن يمنع النفقة عنها وان لم تتزوج،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبهذه القاعدة لا يبقى محرم الا ويباح ارتكابه لمن يدعي انه يمكنه مراعاة مغزى القرآن من تحريمه كشرب الخمر وتحريم نكاح البنت والاخت وغير ذلك

وأما الاجماع والقياس فقد صار مجاله واسعا في هدمهما وجعل اجماع أمثاله وأقيستهم أولى بالاعتبار والاتباع من اجماع الصحابة والتابعين، وأقيسة لائمة المجتهدين، فمن يقول في القرآن ماقال ويصرح على أثره بقوله :

« وبذلك ينقض وجوب التقيد بالمعاني الحرفية القانونية الواردة في القرآن » — ومن يجعل قضاء الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وأحكامه في زمانه كأقضية الافرنج والمتفرنجين بقوانينهم والاحكام التي يضعها لهذه البلاد المستشارون القضائيون من الانكليز في زماننا، بل يجعل هذه ناسخة لها وواجبة الاتباع من دونها — هل يحترم إجماع سلف الامة الصالح ومجتهديها ؟ كيف وهؤلاء المستشارون ومقلدتهم المتفرنجون من ابناء القرن العشرين ؟ وأولئك كانوا في زمن القرون الوسطى المسيحية التي يسميها أساتذته الافرنج القرون المظلمة، وان سماها قومه المسلمون غير المتنورين بعصر النور أو عصر السعادة كما يقول اخواننا الترك . ؟ (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) :—

هذا ما كتبه وخطب به مصري من طائفة المسلمين الجغرافيين باسم الاسلام رأيه هذا في طول البلاد وعرضها ودعا اليه باسم الاسلام، فوضع به للمسلمين دينا جديدا وشرعا محدثا لم يتجرأ على مثله أحد من فرق الباطنية الذين تعبوا في محاولة إبطال دين الاسلام بالتأويل. فضلوا كثيرا وأضلوا عن سواء السبيل، ولكن الاسلام بقي ثابتا، وظل حكمه نافذا، حتى جنى عليه المقلدون الجامدون، مالم يجن عليه الملاحدة والمرتدون. وأجرأ منه أناس من هؤلاء المتفرنجين، يصرحون اليوم بأن حكومته يجب أن تكون غير مقيدة بدين، وان تكون جميع قوانينها مدنية لا شائبة للدين فيها، فهذا ينبذ الشرع بشبهة السياسة المدنية، وذاك ينبذه بشبهة النظريات القانونية

أما هذا السياسي فهو محمود أفندي عزمي أحد محرري جريدة الاستقلال، وأما ذلك القانوني فهو (احمد افندي صفوت) الذي كان وكيل نيابة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(الدلنجات) فاستخدمته السلطة البريطانية بما ظهر من جرأته على الشريعة لاصلاح القضاء في بلاد فلسطين بعد هدنة الحرب . وكان القى ما كتبه على جمهور كبير بقاعة المحامين في الاسكندرية (في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي أنطون بك سلامه ، وطبعه ووزعه على الناس في هذا القطر كله ، ولم يصمد أحد من علماء الازهر ولا غيره من المعاهد العلمية — وفي مقدمتها معهد الاسكندرية — للرد عليه حتى أطلعنا عليه أحد قضاة المحاكم الاهلية فرددنا عليه بأربع مقالات نشرت في المجلدين العشرين والحادي العشرين من المنار

مهما يكن من سبب سكوت علماء المعاهد الدينية في ذلك الوقت فهاهم أولاء يتصدون في هذا الوقت للرد على مقترح جعل القوانين كلها مدنية ، واذا رفعت الاحكام العرفية عند الشروع في انتخاب أعضاء المجلس النيابي فسيكون مجال النزاع والخصام في هذه المسألة أقوى ، ولكل من الخصمين أنصار ، فالسواد الاعظم من الامة المصرية يخالف رأي هؤلاء الغلاة من المتفرنجين ، ولا سيما اذا صرحوا بمقاصدهم كما يصرح مقترح مدنية القوانين ، وهؤلاء المتفرنجون ليسوا بالقليلين ، وتؤيدهم الاقليات غير المسلمة ، ونفوذ الانكليز والافرنج كافة ، ولا يخلو التصادم بين الفريقين في عهد تكوين الحكومة النيابية وفي أوائل العهد بها من خطر عليها ، فليس من مصلحة مصر في هذا الوقت أن تثار فيها هذه النزعات المهيجة التي طرق بابها بعض المتفرنجين ، فقابلهم بعض علماء الشرع بمطالبة الحكومة وواضعي القانون الاساسي بما يفيد وجوب تطبيق جميع مواده على الشرع الاسلامي الذي يجب أن تلتزمه الحكومة من حيث هو دينها الرسمي حتى في علاقتها بحكومة الخلافة أو بالخليفة . وهذا المقام يحتاج الى بسط من وجوه أهمها ما لا يسع المسلم قبوله لمنافاته للاسلام وما هو في سمة منه ، وما يضر ذكره دون السكوت عنه . وما تتعارض فيه المصالح ودرأ المفاسد . ومن المهم الآن اجتناب الغلو من الجانبين ، فقد علمنا ما جنى الخلاف والشقاق على أشبه البلاد ببلادنا وهي (الهند)

واذ فتح هذا الباب فلا بد لنا من بيان نظريات الازهريين ونظريات المتفرنجين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الشريعة والقوانين ، وما يراه حزب الاصلاح وهو الوسط الجامع بين هداية الدين النقية ، والترقي في معارج المدنية الصحيحة ، وهو حزب الاستاذ الامام الذي افتقدته البلاد في ظلمات مشكلات هذا العصر ، كما يفتقد في الليلة الظلماء مطلع البدر ، فاتفق رجال الدين ورجال المدنية على الاحتفال باحياء ذكره ، والرجوع الى تعاليمه وهديه ،

فاذا نظم حزب الامام عمله ، وجمع كلمته ، وتعارف أفراده الكثيرون من الازهريين وغيرهم ، فيوشك أن يؤدي لهذا القطر أفضل خدمة كان مَن شأنه الامام — رحمه الله تعالى — أن يؤديها له في هذا الطور المخيف — طور الانتقال من سيطرة الحكومة الفردية ، الى بحبوحة حكومة الامة النيابية

كوارث سورية في سنوات الحرب

﴿ تعليق المنار على مقالات الامير شكيب ﴾

الامير شكيب كاتب سياسي بارع ومؤرخ محقق ، وقد كتب هذه المقالات للتاريخ فأثبت فيها مارأى بعينيه ، وما سمع بأذنيه ، وما سعى اليه فأصابه ، وما سعى اليه ولم يصبه . وليس الامير بالرجل الظنون ، وما هو على سياسة الاتحاديين بظنين ، بل كان متهما بمشايعتهم ، لانه كان في السياسة الخارجية من شيعتهم ،

كل من قرأ مقاله بانصاف يجزم معنا بأن الحكومة التركية لم تكن تريد في تلك السنوات إماتة السوريين بالجوع ولا اللبنانيين منهم ، ولم تفضل المسلمين على النصارى في التموين ولا في غيره من المعاملات ، بل كانت وطأتها عليهم أشد ، ولم تبطل امتياز لبنان كما أبطلت الامتيازات الاجنبية كلها : ولكن هذه المقالات أيدت الآراء المهمة التي كنا نعتقدها ، ونصرح بها ، قولا وكتابة ، وان حكمت المراقبة على الصحف بمنعنا من بعض ما كنا نكتب

١ — كنا نعتقد أن جمعية الاتحاد والترقي قد اقترصت ماأعطتها الحرب من التصرف في سلطنة آل عثمان بالحكم العرفي العسكري للقضاء على الشعب العربي فيها وجعل سورية والعراق ولايات تركية ، وان النهضة العلمية والوطنية لما كانت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في سورية أقوى منها في العراق عجل جمال باشا بتتريكها بالقوة القاهرة، متوسلا الى ذلك بتعريض الضباط والجنود منها للقتل في المعارك الخطرة، و بتقتيل رجال النهضة الفكرية والقلمية، و بنفي البيوت ذات الثروة والملك الواسع الى الاناضول لاجل ادغامهم في الشعب التركي هنالك، ثم بالاتيان ببيوت تركية تخلفهم في بيوتهم وأملاكهم في سورية. فجمال باشا كان منفذا لقرار جمعيته الاتحادية الطورانية لا مبتكراً لهذا الفساد

راجع قول جمال باشا الامير شكيب معتبا له على التوسل اليه بطامت باشا أن يكف عن القتل والصلب: أتظن أنني أفعل ما أفعل بدون مشاورة رفقائي؟ (آخر ص ١٣٠). ثم مابعد هذا من خيبة الامل بالتوسل بأنور باشا. ثم راجع كلامه في (ص ٢٠٢) وما بعدها عن اجلاء السوريين عن وطنهم الذي وضع له اسم (التهجير). ثم راجع في (ص ٢٩٢) مسألة محاولة جعل سورية تركية بمشروع قانون وضع لذلك كانوا يريدون تقريره في مجلس المبعوثين

٢ — كنا نعتقد أن محاكمة جمال باشا لمن يريد قتلهم محاكمة صورية لايراد بها إحقاق الحق ليتبع، ولا تمييز مايشوبه من الباطل ليجتنب، وانما هو رياء السياسة المصرية المعهود من سائر الدول في معاملة من يعده أهلها عدوا لهم، بمحاكمته لاجل ادانته والحكم عليه ولا يعدمون مايثبتون به التهمة من الاناك والتأويل، وليس لاحكامهم معقب من استئناف أو نقض وإبرام فيفندما يأفكون!

راجع قول الكاتب عن جمال باشا انه لماصمم على شنق الجماعة «استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه على ماعلمت من شكري بك نفسه أسماء أربعين شخصا يجب أن يحكم عليهم بالموت! فزاوده شكري بك كثيرا ودافع كثيراً فتهدده بالقتل الخ (آخر ص ١٣١ وأول ص ١٣٢)

٣ — كنا نعتقد ان هذه الخطة خطة جهل وغرور لانها تكون سبباً طبيعياً لياس العرب من هذه الدولة وحملهم على الخروج عليها في الوقت الذي يجب فيه من توثيق روابط الاخاء والولاء مالايجب مثله في غيره، لانه أرجى الاسباب لانتصارها، فقوته من أعظم الاسباب لانكسارها، وعندما بلغتنا أنباء فعائله بل فظائعه قلت لبعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اخواننا انني أتمنى لو أمكنني أن أصل الى جمال باشا لابين له خطأه والخطر على الدولة منه . فكانوا يقولون لي: إذاً يبدأ بقتلك وصلبك ولا يرجع عن ضلاله ،

وقد ظهر ان الحق كان معهم فان الكاتب بذل له هذا النصح فلم يسمع له، بل لولا صداقته لانور وطلعت لفتك به ، فان هؤلاء المغرورين كانوا يظنون ان البلاد العربية التي جندوا منها خمسمائة ألف مقاتل تظل خاضعة لهم حتى بعد اليأس من امكان حفظ لغة شعبها ودينها والامن على وطنها في ظل دولتهم ؟ وان الخضوع بقوة الارهاب ،خير من الخضوع بوازع الاخلاص ؟ وكانت الحرب خير الفرص لاستمالة من نفرهم الاتحاديون من الدولة وأيأسوهم من حفظ حقوقهم أو حياتهم معها ، فعند الشدائد تذهب الاحقاد ، ولكنهم زادهم نفورا . وتأمل كيف كانت انكلترة تبالغ في مدح أهل الهند ومصر، وفرنسة تبالغ في مدح أهل تونس والجزائر

راجع (في ص ٢٠٣) قول الكاتب في رئيس « قومسيون التهجير » نوري بك المفسد : انه كان بكره في الباطن جمالا وطلعت وكل رجال جمعية الاتحاد والترقي ولكنه كان يغري جمالا بالنفي والتغريب انتقاما منهم لعلمه ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي ، وقد نبهنا جمالا الى هذا الامر وحذرناه من نوري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس الخ

٤ — كنا نعتقد ان ثورة الحجاز توقف بغي جمال عند حد ، وانه هو الذي جعلها ضربة لازب لامناص منها ولا مفر ، وذلك ان الفارين من بغي جمال باشا هم الذين جرّؤا الشريف حسينا على ما كان يهواه من الثورة ، وهم الذين قاموا مع الضباط العراقيين بأثقل أعبائها .

وقد كان الامر كذلك كما بينه الامير شكيب في فصل خاص من مقاله ، فراجعه في (ص ٢٠٧) وما بعدها ، فقد صرح في أوله بأن جمالا خاف العواقب فعدل عن المخاشنة الى المحاسنة . وبأنه استدعاه هو وبعض زعماء العشائر (وسماهم) وتكلم معهم في اتحاد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلية الحقيقية (قال) وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة ، والتمس منا السهر على الامانة للدولة ، وأنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وان كنت لم أصدق كلامه في البراءة من السياسة ، الطورانية . . . لم أخالفه في الطعن بسياسة الشريف من جهة مخالفته لانكلترة وتصديقه لمعاهداتها الخ

ثم ذكر ان توفيق بك الذي جعله جمال باشا وكيلا لولاية الشام اجتهد في اقناعه بوجود مؤامرة على قتله وخلع طاعة الدولة ، وانه مع ذلك اضطر الى الاكتفاء بالحبس ، ولم يتجاوزه الى القتل ، — أي بعد ان كان يقتل بغير ذنب ؛ وذكر ماقيل من ان الاستانة أنذرته في هذه الكرة انذاراً شديداً بأن يعدل عن خطته المعهودة لانه قد طفح الكيل الخ

وقد كنت صرحت بما يرجى من هذا التأثير في مقالة (المسألة العربية) التاريخية التي نشرت في الجزء الاول من المجلد العشرين الذي صدر في شوال سنة ١٣٣٥ (يوليو سنة ١٩١٧) بعد ان حذفت المراقبة البريطانية منها ما حذفت وكانت كتبت في السنة التي قبل هذه السنة . ثم صرحت في الفصل السابع من الرحلة الحجازية « بأن الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها ، وأفادت مارجوناه منها فأنقذت الحجاز وأوقفت بغي البغاة » ولكن خاب سعيي في ايقافها عند هذا الحدّ ، حتى لا نكون من أسباب انكسار الدولة في الحرب ، كما بينته في مواضع متعددة بالتلميح عند العجز عن التصريح ثم بالتصريح عقب زوال المراقبة

٥ — كنت أعتقد أن المصلحة العامة للبشر عامة وللشعوب المستضعفة خاصة أن تنتهي الحرب الكبرى بهدّ قوى الحلفين القائمين بها جميعا وعود التوازن بين دولها في عهد الضعف الى ما كان عليه في عهد القوة ، والا فبانتصار الحلف الذي فيه الدولة العثمانية ، وكان يخالفني في هذا بعض من اكاشفهم به حتى من المسلمين ، قائلين ان الاتحاديين اذا انتصروا لا يقف بغيهم عند حد ، فهم سيقضون على الامة العربية قضاء مبرما ، ويستعبدونها استعبادا لا تقوم لها بعدها قائمة ، وسيقضون أيضا على الدين الاسلامي متممين ما بدؤا به . وكنت أجيب بأنني أعلم من سوء نية زعماء الاتحاديين فوق ما تعلمون ، ولكنني أعتقد أن الالمان لا يمكنونهم من مثل هذا الافساد الذي يضطرون الى السكوت لهم عليه في زمن الحرب اتقاء الفشل فيها ، وانه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لابد أن يقدر الالمان من قدر الامة العربية ما لا يقدره هؤلاء الاتحاديون المتطرفون، وان الشعب التركي الذي يغلب عليه التدين بالاسلام سيكون عونا لنا والالمان عليهم.

وقد ذكر الامير شكيب في مقالته ما يؤيد هذا الرأي، ما سبق له في هذه السبيل من السعي، وهو ما ذكره في ص ١٣٢ من سعيه لدى قنصل المانيـة في الشام ليتوسل بنفوذ حكومته لدى حليفتها بمنع فظائع جمال باشا الان الضرر يعود عليها من ذلك وقوله « ان قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لانهاية لها فتكونون زدتم الدول الائتلافية قوة امة جديدة هي الامة العربية » وقول القنصل بعد اخباره اياه بعجز سفارتهم في الاستانة عن عمل شيء في هذا الباب: ان الاتراك سيندمون على هذا العمل — ثم ما ذكره في ص ١٣٣ من سعيه لدى (فون كولمان) الذي كان سفير الدولة الالمانية في الآستانة لجعل الترك والعرب كالنسة والمجر — ثم لدى خلفه (الـكونت پرنستورف) الذي كان يصرح بأنه على هذا الرأي الخ

فثبت بهذا أن آراءنا كانت صحيحة لانها مبنية على الروية والتدقيق في البحث عن الحق، ولكنني لم أكن آمنا من عاقبة غرور الاتحاديين وتهورهم اذا انتصروا، ولا يائسا من رحمة الله بهذه الامة اذا انكسرت الدولة بسوء تصرفهم، ولا محل لشرح هذا هنا

هذا وانا سنعود الى شيء من هذا البحث في الرحلة الاوربية ونبين فيهـا ما كان من شدة نفور السواد الاعظم من الترك من أعمال الاتحاديين واضمارهم للثورة عليهم بعـد الحرب، ومن منع الغازي مصطفى كمال باشا لزعمائهـم من دخول الاناضول مدة الحرب لكراهة الامة لهم، وحذرا من وقوع الشقاق بوجودهم، وما علمناه مما لقيناه من الاتحاديين أنفسهم من اعترافهم بخطأهم في المسألتين العربية والاسلامية، ومن سعيهم الآن لتكوين الجامعة الاسلامية، مع عدم الرجوع عن الجنسية الطورانية، وقد تولى جمال باشا أفضل عمل يمكن عمله للجامعـة الاسلامية وهو تنظيم الجيش الافغاني الباسل . ولكن وردت الانباء بأن بعض أشقياء الارمن قد اغتاله في القوقاس منصرفا من أوربة الى الافغان . ولاشك ان فقده الآن خسارة كبيرة لانه كان قائما بعمل عظيم، ولكن رجال الثورات قلما يموتون حتف أنوفهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى حلبة الاوربيين

(٥)

حديثنا مع اعضاء جمعية الامم

كان مما قرره أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني قبل انفضاضه أن يسعى بعض أعضائه الى مقابلة بعض اعضاء جمعية الامم الذين يرجى أن يعطفوا على قضيتنا اذا عرفوا كنهها، والذين يرجى أن نستفيد من الحديث معهم فائدة تزيدنا بصيرة في أمرنا، فكتب الامير شكيب الى كثير منهم مكتوبات خاصة يطلب فيها تعيين وقت خاص لمقابلة وفد من أعضاء مؤتمرنا ويخبروه به — من حيث انه هو (السكرتير) للمؤتمر — فأجاب كثير منهم الطلب وابى المندوبان الفرنسيان واستكبرا ان يجيبا كأنهما لا يعترفان بأن مؤتمرا عقد ؛ على أن حكومتهما قد كانت أشد اهتماما بأمر المؤتمر من زميلتها انكلترة ، فما لت صنائعها في سورية على توقيع عرائض ينكرون فيها أن يكون المؤتمر ممثلا لهم ومعبرا عن ارادتهم، فأجابها الى ذلك أيهم أشد نفاقا من المستخدمين ، ودليل من الجبناء الطامعين . وستفصل اخبارهم في هذا مع غيرها في كتاب المؤتمر، الذي سيكون تاريخا دقيقا لهذا العمل. وكذلك مندوب الهند وامره ليس بيده بل بيد سكرتيره الانكليزي. وانما رادا نكلترة من وجوده كثرة أنصارها في الجمعية

وكان ممن أجاب الطلب رئيس مجلس جمعية الامم وهو مندوب الصين ورئيس الجمعية العامة وهو مندوب هولندة ومن الاعضاء البرنس ارفم الدولة مندوب ايران واللورد روبرت سيسل البريطاني الشهير مندوب حكومة الترانسفال والمسترفيشر مندوب الدولة البريطانية نفسها وكذا مندوبو إيطالية واسبانية والبرازيل والارجنتين وغيرهم . وكنا نبسط لكل منهم قضيتنا وكان اشدهم عطفا عليها وتمنيا لمساعدتنا مندوبا ايران والصين لما بيننا وبين شعوبهما من الجامعة الشرقية ويليهما مندوبو البرازيل والارجنتين فمندوبا اسبانية وهولندة

كان بسطنا للقضية لدى هؤلاء متشابها وكان الامير ميشيل يتكلم معهم باللين والاعتدال ولا سيما مع الاوربيين منهم وكنت أنا والامير شكيب نتكلم بشدة في رفض الانتداب وسوء الاعتقاد بالدولتين المتصديتين له ووصف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سيرنهما ، وكان سليمان بك كنعان ، يزيد عليها بيانا في قضية لبنان ، ومثله توفيق بك حماد وشكري أفندي الجمل في الشكوى من الوطن القومي لليهود في فلسطين، ولا فائدة في استقصاء ما دار بيننا وبينهم كلهم في ذلك ولا بد من بيان نموذج منه

مناقشتنا للورد سيسل

قابلنا اللورد روبرت سيسل في عصر يوم الجمعة (٣٠ سبتمبر) ومكثنا معه ساعة وربع ساعة وقد أفاض في الكلام معنا بطلاقة وحرية غريبة وهو جالس على كرسي بين الجالس والمستلقي . كما أجلس أنا في عامة الاوقات الا أنني أتحامى هذه الجلسة اذا كنت مع بعض المتكلفين المحافظين على الرسوم فأترك راحتي مراعاة لهم ، والظاهر أن الرأي العام في أوربة لا ينتقد مثل هذه العادة ولا يعدها مخلة بآداب المجلس ، والا كان اللورد قليل الاحترام لنا ، وكبراء الانكليز شديدو المحافظة على الآداب العامة على كبريائهم واعجابهم بأنفسهم

بسطنا قضيتنا للورد وبينا له رأي أمتنا في الانتداب ، وخصصنا بالذكر مسألتي فلسطين ولبنان ، فقال: إن البلاد السورية لا تزال بحسب القانون الدولي من بلاد العدو المحتلة، صاحبتها الدولة التركية وهي في حالة حرب مع دول الاحلاف لانها لم تصدق على معاهدة سيفر التي أمضاها مندوبوها فلهذا لم تر جمعية الامم أن لها حقا في النظر في صكوك الانتداب للبلاد المرموز لها بحرف (أ) المقدمة لها من انكلترة وفرنسة، وقد اقترحت أنا النظر فيها فلم يقبل اقتراحي

(هذا نص كلامه وقد كانت الجرائد ذكرت أن كلا من الدولتين وضعت صكا لانتدابها ونشرت صك الانتداب للعراق — وهو سيء جدا — ولم ينشر صك الانتداب لسورية لانه أسوأ . والظاهر أنهما استرجعتا الصكين ثم استبدلتا غيرهما بهما في هذا العام ، وقد أقرهما مجلس عصبة الامم وان لم يكن له حق في ذلك بشهادة اللورد)

ثم قال اللورد : ان الغرض من الانتداب أن تكون البلاد المفروض عليها مستقلة في ادارتها وتساعدها الدولة المنتدبة حتى تستعد للاستقلال التام

قلنا نعم هذا ما نص في عهد جمعية الامم ولكنه خداع كشفته سيرة الدولتين المستوليتين على البلاد، قبل أن يتم لهما أمر الانتداب ، ومما ذكر في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عهد الجمعية ان لاهل البلاد الحق الاول في اختيار الدولة المنتدبة ونشرت الدولتان بلاغا رسميا وعدتا فيه بالعمل برغبة الاهالي ثم أخلفتا الوعد ، ولم تعتد برأي الاهالي في شيء

قال نعم ولكن الدولتين احتاطتا لذلك فجعلتا الاتفاق بينهما حائلا دون انتفاع أهل البلاد بهذا النص ، وهو أن لا تقبل فرنسة الانتداب لفلسطين ولا للعراق ولا تقبل بريطانية الانتداب لسورية ، كما أنهما لا تمكنان دولة أخرى من التصدي لهذا الانتداب

وقال جوابا عن كلام يتعلق بعدم تمكينهما جمعية الامم من جعل الانتداب موافقا لروح عهدها ونصوصه : ان للجمعية أن تفعل ذلك بأن تطبق الانتداب على مبدئها وروح عهدها فلا تقبل ما يخالف ذلك

ثم قال ان حكومة العراق الجديدة موافقة لروح جمعية الامم وان انكلترة تنوي مساعدة هذه الحكومة باخلاص ، وان سورية تستحق حكومة مثلها — لكنه اعترف بأن مسألة فلسطين مشكلة ودقيقة (أي غير متفقة مع نصوص جمعية الامم ولا مع روحها) وقال ان انكلترة مضطرة الى الوفاء لليهود بوعد بلفور والى ارضاء العرب وحفظ حقوقهم ، وهي ستجتهد في اختراع وسيلة لارضاء الفريقين مع موافقة روح جمعية الامم في الانتداب

هكذا قال اللورد ولكن صك الانتداب الذي ظهر أخيراً لم يرض الا اليهود الصيهونيين وحدهم ، وقد أغضب العرب وخفر عهود انكلترة لهم ، واخلف الوعود التي منتهم بها ، ولم يوافق روح عصبة الامم ولا نص موادها ، فمن نصدق ويقول من نثق ؟ ألا إننا لم نصدق قول اللورد ولكن كان يصدق مثله ومن دونه كثير من الفلسطينيين ، حتى أتاهم اليقين

ولما صرحنا للورد بأننا لا نقبل هذا الانتداب بحال من الاحوال ، ولا نصدق الوعود والاقوال ، نصح لنا بأن لا نعرقل مسألة الانتداب بل بأن نقبله ونطالب بجعله موافقا لروح جمعية الامم فانه ضربة لازب (قال) ومعاهدة سيفر وان كانت ستعدّل فبلاد العرب لن تعود الى الحكومة التركية . فليس أمامنا من نتكل عليه لانصافنا من سوء التصرف في الانتداب الا جمعية الامم نفسها ، لانها هي صاحبة الحق في المراقبة على الدول المنتدبة ومحاسبتها على أعمالها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال هذا جوابا عما أطال به الامير ميشيل من سوء التصرف في البلاد باسم الانتداب، فكأن اللورد توهم أنه يمكن أن نقبله اذا حسن التصرف فيه، وقد صرحت أنا والامير شكيب بأننا لا يمكن أن نقبله كما تقدم . وانما نذكر سوء التصرف فيه لاقامة الحجة من الآن على سوء النية لا للانتصاف

وكان ملخص كلامي له : انه ليس في استطاعتنا أن نحج الدولتين ويكون لنا الفلج عليها في دائرة قانون هما الواضعتان له والحاكمتان به والمنفذتان له بالقوة، وانما نشكو الى عصبة الامم مذ الآن هذا الامر ونبين لها انه مخالف لمبدئها وغايتها — ولا نخاطبه به بصفته البريطانية بل بكونه من كبار أعضاء العصبة الذين تشبعوا بروحها كما نسمع عنه ، ونرى أن مثله ينبغي أن يعرف الروح السائدة في الشرق الآن ولاسيما سورية وفلسطين وسائر بلاد العرب ، وان الحرب الاخيرة قد علمتهم أن الحياة يجب أن تكون رخيصة في سبيل الحرية، فهم لا يبالون ببذل دمائهم في سبيلها — وأنه قد ثبت عندهم أن هذا الانتداب استعمار واستعباد لا مساعدة لاجل استقلالهم ، ولو كان مساعدة ، لما قاوموه كل هذه المقاومة . وقد أجاب عن أول هذا الكلام ولم يجب عن الجملة الاخيرة بل قام على أثرها

كلامي مع المندوب البريطاني

وأذكر مما قلته لمستر فيشر المندوب البريطاني في أثناء حديث وقد نا معه : ان أهل الشرق كانوا يثقون بالبريطانيين مالا يثقون بغيرهم من الغربيين ولا الشرقيين، ويضربون المثل بصدقهم ووفائهم . فاذا أراد أحد أن يقول قولا فصلا صادقا لارجوع فيه قال « كلمة انكليزية » وقد انقلب هذا الاعتقاد بعد الهدنة من الحرب العامة الى ضده فلم يعد أحد يثق بقول انكليزي ولا غيره من الاوربيين ، بل خسرت أوربة كل ما كان من نفوذها الادبي

ذلكم بأنكم في أثناء هذه الحرب قد ألقيتم على جميع الامم والشعوب في الشرق والغرب درسا واحدا كان يتكرر كل يوم مدة أربع سنين ، وهو أن الغرض من هذه الحرب بين حلفكم والحلف الجرماني هو نصر سلطان الحق وحرية الامم والشعوب على سلطان القوة والاعتداء على الضعفاء واخضاعهم بالسلاح العسكري ، ووعدتمونا معشر العرب وعودا خاصة بأننا سنكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بانتصاركم أحرارا مستقلين ، وقد امتزجت هذه الوعود بدمائنا وأعصابنا، كما صدقت الشعوب كلها تلك الدروس التي كانت تلقيها عليها برقيات روتر وهافاس كل يوم، وتشرحها وتفصلها جرائدكم وجرائد أحلافكم

وما كان الا أن وضعت الحرب أوزارها بخضوع أعدائكم لكم ، ونزولهم على شروطكم في الهدنة والصلح ، حتى نثلت الكنائن ، وظهرت الدفائن ، فعلم أنكم إنما خشيتم أن تشاركم الدولة الالمانية بقوتها ، في استعبادكم للشعوب واستعماركم لبلادها ، فأردتم القضاء على قوتها لتنفردوا بذلك . وكان أسوأ الناس خيبة من اتخذتموهم واتخذوكم أصدقاء من مخدوعي الامة العربية ، فانكم انتزعتم منها خير بلادها وأخصبها ومواطن مدنيتها وهي سورية والعراق فقسمتموها بينكم وبين حليفتكم فرنسة اقتسام الغنائم ، وقهرتموها على الخضوع لحكمكم بالدبابات والطيارات والبنادق والمدافع ،

واننا نرى انكم انما أسستم امبراطوريتكم العظيمة بالقوة المعنوية والادبية كالدهاء والحكمة واللين ، وانكم ستكونون باستبدال القوة العسكرية الوحشية بها من الخاسرين، وإنني قد كتبت في اثبات هذه القضية مذكرة أرسلتها الى وزيركم الاكبر لويد جورج في العام الماضي أثبت فيها انه يمكن لكم أن تربحوا من الشعوب العربية والتركية والفارسية وغيرها من أمم الشرق بالصداقة وحسن المعاملة معها اذا تركتم لها استقلالها، أضعاف ما تتصورون من الربح منها باستعبادها واستذلالها. والخداع بالاقوال، كتسمية الاستعمار بالانتداب ، لم يبق له رواج عند أحد من الناس

وقد انسل المندوب البريطاني من المناقشة في هذا الموضوع بأنه الآن عضو في جمعية الامم لا في الوزارة البريطانية ، وان الانتداب مقرر في عهد الجمعية وليس موكولا الى أعضائها ليقرروه أو يتركوه ، وانما يطالبون بجعله مطابقا للمبادىء والاحكام الموضوعة له

ومما أضحكنا من كلام المندوب الايطالي أنني لما غمزت الحلفاء باقتسام بلادنا باسم الانتداب قال : إننا نحن لم نأخذ شيئا ! !

مندوب الصين

ومما قلته لمندوب الصين — وهو رئيس مجلس العصبة بالانتخاب وياله من رجل عالم عاقل حليم — لا يعزب عن علم سعادتكم ان الدول الغربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطامعة تعد الشرق كله مباحاً لها، وترى انه ليس لشعوبه حق في الحرية القومية واستقلال الحكم ، الا من أثبت ذلك لنفسه بالقوة الحربية القاهرة كاليابان، وما يمنعهم من العدوان على شعب شرقي ضعيف في عقر داره لسلب حريته واستغلال بلاده بيده — وأيديهم من فوقها — لا التنازع فيما بينهم عليه ، وقد بدؤا بعد هذه الحرب الوحشية باقتسام بلاد الشرق الادنى ، فاذا فرغوا منها لا يبقى أمامهم الا الشرق الاقصى ، فأنتم بدفاعكم عن قضيتنا تدافعون عن أنفسكم :

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته

فاعترف بصحة هذا القول وبوجوب تكافل الشرقيين ، وتعاونهم على جعل آسية للاسيويين . وقد عني بنا اكثر من غيره

مندوب ايران

ومما قلته لمندوب ايران — البرنس أرفع الدولة — ان خصم المسلمين الأكبر في الشرق بل خصم الشرق كله هو الدولة البريطانية ، وهي مع المسلمين اليوم على طرفين متقابلين وان كانا يشتركان في أن كلا منهما أقوى ما كان وأضعف ما كان في كل تاريخ حياته

فأما الدولة البريطانية فقد خرجت من هذه الحرب وهي سيدة أوربة كلها — دع الشرق — فانها استراحت من خطر الاسطول الالماني الذي كان يهدد سيادتها البحرية بالزوال وأضافت الى مستعمراتها بلادا واسعة غنية... ودكت صروح الدولة العثمانية وجعلت اختها الدولة الايرانية تحت حمايتها ، وأحاطت بجزيرة العرب من أطرافها، بعد أن أعلنت الحماية على مصر واحتلت العراق وفلسطين (البلاد المقدسة) وانفردت بالسلطان في البحر المتوسط، فصار كل دوله وراءها كالخدم وراء المخدوم ،،، ولكن هذه العظمة والرفعة هي منتهى ما يمكن أن تصل اليه ولا يطيق النوع البشري احتمال عظمة فوق هذه. فهي قد بلغت القمة ، ولما كان الوقوف والسكون في عالم الاحياء محالا ، لم يبق الا أن تنحدر وتتدهور . وقد بدت آيات الانحدار والسقوط ، فقد ثارت عليها ارلندة ومصر والعراق ثورات دموية . وثارت فلسطين ثورة سياسية والهند ثورة اجتماعية . ونجم نبت الشقاق بينها وبين جارتها وأقوى حليفاتها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدولة الفرنسية، ورفضت ايران معاهدتها الاستعبادية، وصارت جارتها افغانستان دولة مستقلة حربية، واستعادت الامة التركية قوتها الحربية. ووراء ذلك كله الروسية البلشفية. كل هذه المعضلات قد فاجأتها وهي في هذا الاوج من مجدها. فعجزت عن معالجة أدنى معضلة منها

وأما المسلمون فقد انتهت هذه الحرب بالقضاء على ما بقي من دولهم المستقلة، وافتسام ما بقي من بلادهم بين الدول الظافرة، فبلغوا الحضيض الاسفل من الذلة والمسكنة. ولما كان الوقوف والسكون محالا لم يبق الا أن يصعدوا ويرتقوا. وقد ظهرت طلائع الارتقاء مما أشرنا اليه من ثورات شعوبهم ونهوض حكوماتهم. فاذا كانوا قد اعتبروا بما كان من جناياتهم على أنفسهم، وتابوا كما نرجو من ذنوبهم، وتعاونت شعوبهم مع سائر شعوب الشرق على دفع الضيم والعدوان عنهم، فلا ريب في نظر الله اليهم ونصره اياهم. والمسلم لا ييأس من روح الله مهما تكن الخطوب والكوارث التي تساوره. لان اليأس لا يجتمع مع الايمان بقدرة الله وعنايته وفضله في قلب واحد، وهذه آيات الله قد ظهرت للمسلمين بتسخير الامة الروسية لدولتي الاسلام — العثمانية والايرانية — تنصرهما. وتشد أزرهما. وتساعدهما على درء الخطر البريطاني عنهما. بعدما كانت هي الخطر الاكبر عليهما، الساعية الى ثل عروشهما، وكانت الدولة البريطانية هي التي تقاومها في هذا. لا حبا فيهما. بل خوفا ان تنازعها سلطانها البحري بالاستيلاء على الآستانة وتزحف على الهند من طريق ايران — أو كما قال المثل — لا حبا في عليّ ولكن بغضاً في معاوية

ثم نوهنا بنهضة الغازي مصطفى كمال باشا العسكرية والسياسية، ولا سيما عنايته بجمع الكلمة بين الشعوب الاسلامية والشرقية، فقال البرنس: لولا مصطفى كمال باشا لكان كل مسلم في الدنيا ذليلا الآن

وبهذه المناسبة أذكر انني قلت لاكثر من تكلمت معهم من أعضاء جمعية الامم بالاشتراك مع بعض إخواني من وفد المؤتمر أو منفردا ولرئيس الجمعية خاصة — وهو آخر من تكلم معه الوفد — ما ملخصه:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض كلامي لرئيس جمعية الامم

إن هذه الجمعية التي اقترح الرئيس ويلسون تأليفها من جميع أمم الحضارة لخير جميع البشر لا يليق بشرفها وشرف امها وحكوماتها وشرف المبدإ والغاية الموضوعين لعملها أن تكون آلة لدولتين استعماريتين تكفل لهما الاستبداد من استوليتا عليه من الشعوب قبل الحرب ومن تريدان الاستيلاء عليهم بعدها باسم الانتداب منها ، ولا سيما بلادنا العربية التي هي قلب الارض ومهد الاديان الكبرى في العالم وموضوع التنازع في النفوذ بين الدول الكبرى . فان هاتين الدولتين قد قلبتا الموضوع فجعلتا الغاية المقصودة من الجمعية الى ضدها . وقد عز عليها أن تحتمل تبعة الاستيلاء على البلاد المقدسة ومهد الاديان السماوية الكبرى . فجعلت تبعته على عاتق هذه الجمعية وكلفتاها أن تكفل لهما هذه الغنيمة وما قبلها من غنائم الاستعمار الذي كان التنازع عليه علة هذه الحرب المخربة ، ويخشى أن يفضي الى حرب شر منها هولا وشر ما آلا . — ولا يصح منها أن تسفه نفسها وتحقرها بأن تعتذر عن هذه الجريمة بأنها مقيدة بقانون وضعه لها هؤلاء الطامعون ، فان قانونها يجب أن يكون من وضعها ، وأن يقرر بأصوات الاكثرين من أعضاء جمعيتها العامة ، فاما أن تقبل الدول الطامعة ذلك واما أن يفتضح رياؤها ، وتلقى عليها وحدها تبعة ما ستجنيه على البشر مطامعها ،

اذا كان البلقان هو مسعر نيران الفتن والحرب في الغرب . فان سورية وفلسطين وسائر بلاد العرب ستكون مسعر نيران الفتن والحرب في الغرب والشرق جميعاً . واذا كانت انكلترة وفرنسة قد فقدتا في عاقبة هذه الحرب كل ما كان لهما من النفوذ الادبي في الشرق . فستكون جمعية الامم هي القاضية على نفوذ أوربة الادبي في العالم كله اذا رضيت أن تكون آلة لهما فيما ذكرنا . واذا أصبحت أوربة لا تبالي بالنفوذ الادبي لاستحواذ الافكار المادية عليها — كما قال فيلسوفها الاكبر هربرت سبنسر — فلتعلم أن النفوذ المادي سيتبع النفوذ الادبي . فان الشرق قد استيقظ وعرف نفسه . ولن يرضى بعد اليوم أن تكون شعوبه عبيداً أذلاء للطامعين المستعمرين . ولتعلمن نبأه بعد حين